تنبيه تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان

قانون معرفة الله عزوجل

د. محمد راتب النابلسي ص 4

أبواب العباد إلى رب العباد

فريد الأنصاري رحمه الله تعالى ص 11

الأعمال بالنيات

د. لخضر بوعلي ص 5

بين القماط والكفن

د. حسن الأمراني ص 12

بسم الله الرحمن الرحيم

almahajjafes@gmail.com

المفضل فلواتي
المدير المؤسس

المحجة

جامعة نصف شهرية

العدد: 365

المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج

21 ذو الحجة 1432هـ – 18 نونبر 2011م

3 دراهم

افتتاحية

﴿والرجز فاهجر﴾

ص 2

- **تكامل المستويات اللسانية في تفسير ظواهر اللغة**

د. محمد الغريسي ص 15

- **الإسلاميون في السلطة في العالم العربي... فكيف؟!**

السفير د. عبد الله الأشعل ص 16

21 ذو الحجة 1432هـ - 18 نونبر 2011 م- العدد : 368

﴿والرجز فاهجر﴾

إن الناظر نظرة تأمل وتدبر وتفكر وتحليل للمواقف والأحداث ليعجب أشد العجب وهو ينظر في السيرة العطرة لرسول الله ﷺ فهو بفضل الله عليه وبما رباه عليه ووصاه به وهو القائد الملهم قد كان ﷺ يتمتع في جملة ما يتمتع به بكمال العقل وموفور الحكمة وقوة العزم وشدة الصبر مع فهم ثاقب لطبائع الناس واختلاف مستوياتهم العقلية والنفسية واستعداداتهم الشخصية ومع قدرة فائقة على دراسة الأخبار التي ترد عليه عن مختلف الشخصيات والأحداث وتحليلها بما يتهيأ معه بناء نظرة مستقبلية تقوم على تخطيط محكم ودقيق لتبليغ رسالته على أحسن وجه وأكمله في وقت وجيز إذا قيس بالنتائج العظيمة التي تحققت على يده ﷺ. ثلاث وعشرون سنة هي مدة دعوته بين مكة المكرمة والمدينة المنورة في ظروف صعبة وبوسائل بسيطة في الاتصال والنقل، في بيئة وعرة وبين أناس اختلفت أهواؤهم ومشاربهم. ويتحقق إنجاز ضخم، تتغير البيئة بكاملها وتتحسّن في العقيدة وفي الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية. وتنشأ أمة مطبوعة بطابع الوحدة والتماسك تجتمع على تحقيق أهداف سامية خدمة للإنسان أينما كان ليسعد من استجاب إليها في الدنيا والآخرة ﴿طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى...﴾(طه : 1) أي أنزلناه عليك ليكون لك ولمن اتبعك سبيلا إلى السعادة والهناء وبهذا يظهر الإعجاز العظيم للقرآن سواء في أسلوبه أو فيما أحدثه من آثار عميقة في النفوس.

ومما يظهر منه التدبير المحكم لرسول الله ﷺ ونظرته البعيدة إلى المستقبل اتخاذ الهجرة وسيلة هامة لتبليغ الرسالة وإشاعتها في الآفاق.

أمر رسول الله ﷺ جماعة من المسلمين ذكوراً وإناثاً عندما اشتدت وطأة كفار قريش عليهم خصوصا بعدما بدؤوا يعذبونهم أشد العذاب ويقتلون بعضهم كما وقع لبلال الحبشي ولعمار بن ياسر وأبويه أمرهم ﷺ بالهجرة إلى الحبشة رغم بعدها عن مكة ليصل صدى القرآن وخبر بعثته ﷺ إلى تلك الأرض البعيدة فيصدع المسلمون بالحق هناك أمام ملك الحبشة وحاشيته في مواجهة خصوم كفار قريش وقد بعثوا إلى ملك الحبشة رسلاً يسألونه أن يردّ المسلمين إلى قومهم بمعنى أن يطردهم وأن يعودوا مقهورين أذلة، ولكن بفضل قوة إيمانهم وصدقهم وما رباهم عليه الرسول ﷺ من حسن الخطاب الذي يتضمن الحجة والدليل نصروا على أعدائهم وازدادت مكانتهم رفعة عند ملك الحبشة. وهكذا كانت هذه الهجرة عملا منظماً ربت من شارك فيها على الصبر والمصابرة وتحدي العدو الكافر ذاقوا فيها حلاوة النصر عليه وإن كان الآن نصراً بالقول فإنه سوف يعقبه فيما بعد النصر أيضا بالقول والفعل. كما نشأ عن هذه الهجرة إقامة علاقة مع قوة خارجية مجاورة وهو أمر هام يُعتبر سنداً معنوياً لدعوة الرسول ﷺ.

وأتى العام الذي يُنعت بعام الحُزن فقد فيه رسول الله ﷺ سندين هامين زوجه خديجة رضي الله عنها وعمه أبا طالب فازدادت مضايقة الكفار له ومحاصرتهم واشتدت عداوتهم وتوالت اجتماعاتهم الماكرة حتى وصل إلى المسامع عزمهم على الفتك به ﷺ فكانت الهجرة إلى المدينة المنورة.

وموضوع الهجرتين وما يُستفاد منهما يهمّ في الغالب المسلم الذي يترك بلده الذي فيه السلطة للمسلمين وينتقل للإقامة في بلد آخر السلطة فيه لغير المسلمين وهذا أمر يرد الحديث عنه في بعض مقالات هذا العدد.

وأختار الوقوف عند هجرة خاصة هي في متناول كل مسلم صادق. والمسلمون في هذا العصر في أمس الحاجة إليها. وردت في سياق أمرٍ إلاهي وُجّه إلى الرسول ﷺ في مطلع سورة المدثر ﴿والرّجز فاهْجُر..﴾(المدثر : 5) وعبّر عنها الرسول الكريم بقوله : «المهاجر من هاجر ما نهى الله عنه».

إن الأمة الإسلامية وخصوصا منها العربية وهي تمر في عمومها الآن بظروف صعبة في أوضاعها المختلفة سياسيا وثقافيا واجتماعيا واقتصاديا وبشرياً تجتاحها ظلمات من التفكك والتصدع واختلاف الأهواء والمصالح وتعدد الأحزاب والشيع والفرق، وكل يُغني بليلاه في السياسة والفكر. يرفعون في وجوه الناس شعارات براقة ويعدونهم بإيجاد حلول لمشاكلهم المستعصية ولكنهم ينسون أو يتناسون أن أهم عنصر في بناء الأمة والمجتمع وهو الذي يُمكن أن يكون مصدر عزها وقوّتها وبناء حضارتها وتحقيق سلمها وأمنها ورفع مستواها في العلم والثقافة والفكر أو أن يكون سببا في انتشار الجهل والفقر والجريمة والخوف وأحداث الشغب والفتن والفساد في الأجهزة والإدارات، هو الإنسان الذي يُعتبر مُواطنا في البلد. فإذا البلد وُصف بأوصاف تدل على علو منزلته بين الأمم فذلك الوصف يصدق على عموم مواطنيه وتكون لهم حُرمة ومهابة إذا زاروا دولا أخرى. وإذا وصف البلد بما يدل على الذم والقدح والتنقيص فإن ذلك يقدح أيضا في عموم مواطنيه ويكونون عرضة للتهم إذا هم زاروا دُولا أخرى. والبلد إذا قام على دولة بأجهزتها الحكومية والإدارية والتشريعية وأقيمت فيه المدارس والمعاهد والمحاكم والمستشفيات والمكتبات والمتاحف... واشتغل الناس بالفلاحة والتجارة والصناعة وجهز البلد بالطرق وكثرت فيه القطارات والحافلات والسيارات... وبعد هذا كله يُتحدث عن شيوع الفساد فيه والظلم والرشوة واستغلال النفوذ واختلاس الأموال وانتشار الجرائم وتكاثر الحوادث المؤلمة... فمن أين يأتي كل هذا الخلل الكبير الفاضح المفضوح؟

تتمة ص : 5

حلاوة الاقتناع بالدين (4)

سراقة بن مالك :

وَوَقَعَ فِي نَفْسِي -حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الْحَبْسِ عَنْهُمْ- أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فسَأَلْتُهُ كِتَابَ أَمْنٍ

المفضل فلواتي
رحمه الله تعالى

أعلنتْ قريش في نواديها ـ عند هجرة الرسول ﷺ وصاحبه ـ بأن من يأتي بالنبي حيا أو ميتا، فله مائة ناقة. وانتشر هذا الخبر عند قبائل الأعراب في ضواحي مكة، فطمع سراقة بن مالك بن جعشم في نيل الجائزة التي أعدتها قريش لمن يأتي برسول الله ﷺ.

قال ابن شهاب : وأخبرني عبد الرحمان بن مالك المُدلجي ـ وهو ابن أخي سراقة أن أباه أخبره : أنه سمع سراقة يقول : جاءنا رسول كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ دية عظيمة لمن قتله أو أسَرَهُ، فبينما أنا جالسٌ من مجالس قومي بني مدلج، إذْ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس، فقال : يا سُرَاقَةُ إني رأيتُ آنفا أسْوِدةً(1) بالساحل أراها محمدا وأصحابَه، قال سراقةُ : فعرفتُ أنهم هُمْ، فقلتُ له : إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيتَ فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا ثم لبثتُ في المجلس ساعة، ثم قُمتُ، فدخلتُ، فأمرتُ جاريتي أن تخرُجَ بفرسي وهُوَ من وراءِ أكَمَةٍ(2) فتحبسُهَا عليَّ.

فخرجتُ من ظهر البيت حتى أتيتُ الفرسَ فركبتُها، وأسرعْتُ حتى دنوتُ منهم، فعثرت بي فرسي، فخرَرْتُ عنها، فقُمتُ فأهويتُ إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزلام(3)، فا ستَقْسَمْتُ بها(4) : أضُرُّهُمْ أم لا أَضُرُّهُمْ، فخرج الذي أكره(5) فركبتُ فرسي، وعصيت الأزلام، فقربت منهم، حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ، وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت(6) يدا فرسي في الأرض، حتى بلغتا الركبتين، فخررتُ عنها، ثم زجرتُها فنهضتْ، فلم تكد تُخرج يَدَيْهَا(7) فلما استوتْ قائمة إذا لأثَرِ يَدَيْهَا عُثَانٌ(8) ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمتُ بالازلام فخرج الذي أكره.

فناديتُهم با لأمان، فوقفوا، فركبتُ فرسي حتى جئتهم، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمرُ رسول الله ﷺ، فقلت له : إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتُهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضتُ عليهم الزاد والمتاع، فلم يرزآني(9) ولم يسألاني، إلا أنه قال : "أخْفِ عَنَّا" فسألته أن يكتُب لي في كتابَ أمْنٍ، فأمر عامر بن فهيرة(10) فكتب في رقعة من أديم، ثم مضى رسول الله ﷺ(11).

قال ابن عبد البر : روى سفيان بن عيينة عن أبي موسى عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال لسراقة : "كَيْفَ بِكَ إِذَا لَبِسْتَ سِوارَيْ كِسْرى؟"(12).

سبحان مقلب القلوب إن سراقة خرج جاهدا نفسه لينال مائة ناقة أو أكثر(13). ولكن الله عز وجل بقدرته التي لا تُغلب جعله يرجع مدافعا عن رسول الله ﷺ، حيث أصبح يحكي ما وقع له ـ بعدما اطمأن على وصول الرسول ﷺ آمنا. من المعجزات، ويذيع في الناس أن محمدا ﷺ منتصر، فخاف رؤساء قريش أن يكون ذلك سببا لاسلام بعض أهل مكة، وكان سراقة أميرَ بني مُدلج ورئيسهم، فكتب إليهم أبو جهل :

بَنِي مُدلجٍ إنِّيَ أخَافُ سَفِيهَكُمْ
سُراقَةَ مُسْتَغْوٍ(14) لنَصْرِ مُحَمَّدِ
عَلَيْكُمْ بِهِ ألاَّ يُفَرِّقَ جَمْعَكُمْ
فَيُصْبِحَ شَتَّى بَعْدَ عَزٍّ وسُؤْدَدِ

فقال سراقة يرد عليه :

أبَا حَكَمٍ، واللَّه لَوْ كُنْتَ شاهِداً
لأمْرِ حَوَادِي إذْ تَسُوخُ قَوَائِمُهْ(15)
عَلِمْتَ وَلَمْ تَشْكُكْ بِأنَّ مُحَمَّداً
رَسُولٌ بِبُرْهَانٍ فَمَنْ ذَا يُقَاوِمُهْ(16)
عَلَيْكَ، فَكُفَّ القَوْمَ عَنْهُ فَإنَّنِي أرَى
يَوْماً سَتَبْدُو مَعَالِمُهْ(17)
بِأمْرٍ، تَوَدُّ النَّاسُ فِيهِ بِأسْرِهِمْ
بِأنَّ جَمِيعَ النَّاسِ طُراً مُسَالِمُهْ(18)

1- أسودة : ج سواد، وهو الشخص الذي يُرى كالشبح من دون أن يُعرف.
2- أكمة : الرّابية والكُدية وكل مرتفع في الأرض.
3- الأزلام : الأقْداح والسهام المخصصة للاستقسام بها.
4- استقسمتُ بها : أخرجتها وحرّكتُها لأعرف هل يخرجُ القدح الذي يخبرني هل أضره أم لا.
5- الذي أكره : خرج القدح الذي يُخبر أنه لا يضره.
6- ساخت : غاصَتْ في الأرض.
7- فلم تكد تخرج يديها : أخرجت يدَيْها من الأرض بصعوبة.
8- عُثَانٌ : دخان يُجمع على عواثن على غير قياس، والعُثان أيضا : الغبار، وفي رواية ابن هشام : وتبعهما دخان كالإعْصار.
9- لم يرزآني : لم يأخذا شيئا مني، وتلك صفة الدّعاة لا أجْر إلامن الله تعالى، ولا طمع إلا في رعاية الله عز وجل.
10- في رواية أن الذي كتب هو أبو بكر في عَظْم، أو رُقعة أو في خرَفة.
11- هذا جزء من رواية البخاري، السيرة النبوية لصلابي 451/1.
12- وقد تحققت النبوة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
13- خصوصاً وأنه كان جزاراً.
14- مستغوٍ : يغوى ويهوى انتصار محمد.
15- أبا حكم : المقصود هو أبو جهل، يقول له لو شاهدت فرسي وكيف ساخت يداه لتَيَقَّنْت أن محمد رسول.
16- لعلمت يا أبا الحكم بدون شك أن محمداً رسول، ولكن المعروف أن أبا جهل شاهد معجزة الفحل، ومعجزة الخندق من النار ولم يومن.
17- عليك : أي الزم نفسك، ولا تشتغل بتحريض الناس على محمد، وعليّ، وعلى من اتبعه فإنه منصور.
18- بأمر : أي بأمر الإسلام، الذي يدعو إليه، فإنه سينتصر وتحب كل الناس أن تُسَالِمَه.

جريدة المحجة
■ المدير المؤسس : ذ. المفضل فلواتي
■ المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج
■ مسؤول الإخراج : رشيد صدقي
الموقع الإلكتروني : www.almahajja.net
عنوان المراسلة : حي عز الله، زنقة 2 رقم 3- فاس -المغرب
الهاتف : 931113 (0535)
الإيداع القانوني : 1994- 61
رقم الصحافة : 11/ 91
الترقيم الدولي : 3627- 1113
الطبع : إكو برانت - البيضاء
التوزيع : سابريس

محطات إخبارية - محطات إخبارية - محطات إخبارية

تزايد جرائم الكراهية ضد المسلمين بأمريكا

أفاد مكتب التحقيقات الفدرالي أنّ الجرائم والجنح بحقّ المسلمين ازدادت بحوالي 50٪ بين 2009 و2010، في حين أنّ أعمال العنف العرقية والدينية الأخرَى تراجعت بشكل طفيف أو أنها لم ترتفع كثيرًا. وتشير إحصائيةُ الـ "إف بي أي" أنّ العدد الإجمالي لأعمال العنف ضد المسلمين ارتفع من 107 عام 2009 إلى 160 عام 2010 بزيادة 49٪، بالمقارنة من ارتفاع بنسبة 13٪ في أعمال العنف ضد الكاثوليك وتراجع بنسبة 4٪ في التجاوزات بحق اليهود وارتفاع إجمالي بنسبة 14٪ في الجرائم والجنح الدينية.وأوضح أنّ العدد الإجمالي لـ"جرائم الكراهية" ارتفع بشكلٍ طفيف إلى 6628 حالة بينها 3.47٪ نتيجةً خلافاتٍ عرقية و20٪ نتيجة خلافات دينية.من جهتها رأت منظمة "هيومن رايتس فيرست" لحقوق الإنسان أنه "بعد تسجيل تراجع عام 2009، من المقلق أن نرَى هذه الجرائم والجنح تتزايد من جديد" مشيرةً في بيان إلى أنّ "زيادة أعمال العنف المعادية للمسلمين تحمل مغزى خاصًا".وقال المسئول في المنظمة بول لوجاندر: "إنّ هيومن رايتس فيرست لطالما اعتبرت أنّ أعمال العنف بحق المسلمين وجميع أشكال جرائم الحقد ينبغي اعتبارها بمثابة انتهاك خطير لحقوق الإنسان".

التعاون الخليجي يرفض عقد قمة طارئة دعت إليها سوريا

أعلن مجلس التعاون الخليجي يوم الثلاثاء، رفضه الطلب السوري بعقد قمة عربية طارئة، لوقف قرار التجميد الذي أقرته جامعة الدول العربية في وقت سابق، احتجاجا على أعمال العنف التي تمارسه السلطات ضد المدنيين.

وقال الأمين العام للمجلس عبد اللطيف الزياني في بيان: إن "مجلس التعاون يرى أن طلب عقد قمة عربية في هذا الوقت غير مجد".

وبرر الزياني ذلك بكون "مجلس الجامعة في حالة انعقاد لمتابعة الأزمة السورية وسيعقد اجتماعا قريبا لمواصلة متابعة هذا الموضوع في الرباط بالمملكة المغربية الشقيقة يوم الأربعاء".

وقد أعلنت وزارة الخارجية السورية أنّ دمشق قررت عدم المشاركة في اجتماع الرباط المزمع أن يعقده وزراء الخارجية العرب يوم الأربعاء، لبحث تطورات الأزمة السورية، على هامش أعمال منتدى تركيا- البلدان العربية.

إصابة القنصل الفرنسي بقطاع غزة في غارة إسرائيليَّة

أعلنت فرنسا يوم ثلاثاء إصابة قنصلها في قطاع غزة وزوجته وابنته البالغة 13 عامًا جرَّاء غارة جويَّة شنتها قوات الاحتلال الإسرائيلي الأحد على القطاع.

وقال المتحدث الرسمي باسم الخارجيَّة الفرنسيَّة برنار فاليرو في مؤتمر صحفي: إن بلاده تستنكر بشدة تداعيات الحادث، مشيرًا إلى أن وزير الخارجية الفرنسي آلان جوبيه بعث برسالة دعم وتضامن للقنصل الفرنسي ماجدى شاكورا الذي أصيب وأفراد أسرته بشظايا زجاجيَّة بينما كان بمنزله بالقطاع أثناء الغارة.

وأوضح أنه بينما تحرص باريس على أمن إسرائيل إلا أنها تؤكد ضرورة تفادى استهداف المدنيين، مشددًا على أن البعثة الفرنسيَّة الدبلوماسيَّة تتواجد في قطاع غزة لدعم المدنيين من خلال فرع القنصلية وأيضًا من خلال المركز الثقافي الفرنسي.

أردوغان: الأسد لن يبني المستقبل بدماء

حذَّر رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان الرئيس السوري بشار الأسد، من أن نظامه أصبح على حافة الهاوية، كما طالبه باعتذار فوري بعد تعرُّض بعثات دبلوماسيَّة تركيَّة لهجمات من قبل مؤيديه.

وقال أردوغان أمام اجتماع حزبي: "إن الرئيس السوري بشار الأسد لن يستطيع تحقيق المستقبل على دماء المظلومين، مشيرًا إلى أن التاريخ سيذكر أنه يعيش على الدماء، وأضاف أن تركيا مجبرة على الوقوف الى جانب الشعب السوري.

وأوضح أنه "لا أحد يتوقع الآن تلبية مطالب الشعب السوري، غير أننا نريد جميعًا أن ترجع الإدارة السوريَّة عن حافة الهاوية".

وقال أردوغان: "أدين بقوة مرة أخرى الهجمات على مسؤولين أتراك وعلى العلم التركي، وننتظر من الإدارة السوريَّة أن تتخذ فوراً كافة الخطوات الضرورية للاعتذار وتحمل المسؤوليَّة".

واعتذر وزير الخارجيَّة السوري وليد المعلم يوم الاثنين عن الهجمات التي طالت أيضًا بعثات سعوديَّة وفرنسيَّة، لكن أردوغان أشار إلى أن تركيا تنتظر تعبيرًا أقوى عن الاعتذار.

وتستضيف تركيا المعارضة السوريَّة الرئيسيَّة، كما وفَّرت ملاذًا لجنود سوريين منشقين، إلى جانب مطالبتها الدائمة للأسد بوقف آلة العنف ضدّ المحتجين.

طيار ليبي: رفض أوامر القذافي بقصف بنغازي كان أصعب قرار في حياتي

قال العقيد طيار علي فرج أن ضميره لم يطاوعه عندما أمره العقيد الليبي الراحل معمر القذافى بقتل أهل بلاده المسلمين في بنغازي مهما كان الثمن، وبالتالي لم يجد مناصاً مع زميل آخر له سوى التوجه إلى مالطا، لأن البقاء في ليبيا بعد رفض أوامر القذافي بات أمراً مستحيلاً.

وأضاف في حديث لقناة "العربية" أنه لم ينس للحظة خوفه وقلقه على أسرته، وما كان يمكن أن يحل بهم بسبب القرار الذي اتخذه، حيث عاشت زوجته أوقاتاً صعبة من الخوفُ على زوجها الهارب إلى مالطا، والقلق على مصير أبنائها وبناتها من انتقام كتائب القذافي في الداخل. واعتبر العقيد طيار علي فرج أن قرار عصيان أمر القذافي بقصف بنغازي كان أصعب قرار في حياته.

من جانبها، قالت زوجة فرج أنها ورغم معاناتها، إلا أنها كانت فخورة جداً بتصرف زوجها البطولي.

ومع عودة فرج إلى بلاده بعد أكثر من 7 أشهر قضاها لاجئاً في مالطا، تنتهي معاناته مع الغربة والبعد عن الوطن.

رباح يعلن استعداد العدالة والتنمية لقيادة الحكومة المقبلة

كشف عزيز رباح، في حزب العدالة والتنمية، أن الحزب على استعداد تام لقيادة الحكومة المقبلة والانخراط غير المشروط في مسلسل محاربة جميع مظاهر الفساد والاستبداد والتصدي لناهبي المال العام وخيرات البلاد، محذرا في الوقت نفسه من مغبة تزوير إرادة الشعب.

وقال رباح، في كلمة ألقاها أمام المئات من أنصار الحزب خلال المهرجان الافتتاحي للحملة الانتخابية لتقديم مرشحي لائحة المصباح بدائرة القنيطرة، إن حزبه غير متخوف من ترؤس الحكومة المقبلة، مؤكدا أنه في حالة ما منح المواطنون ثقتهم لحزب العدالة والتنمية، فإنه قادر على تحمل مسؤوليته كاملة لإصلاح أوضاع البلاد والعباد، وتجنيب المغرب السكتة القلبية التي باتت تهدد العديد من دول العالم.

إسرائيل: سقوط الأسد سيعجل بنهايتنا

قال رئيس الهيئة الأمنية والسياسية بوزارة الدفاع الإسرائيلية الجنرال عاموس جلعاد: إن سقوط نظام الرئيس السوري بشار الأسد سيترتب عنه حدوث كارثة تقضى على إسرائيل، وذلك نتيجة لظهور امبراطورية إسلامية في منطقة الشرق الأوسط بقيادة الإخوان المسلمين في مصر والأردن وسوريا.

ونقلت إذاعة الجيش الإسرائيلي تصريحات عن الجنرال الإسرائيلي عاموس جلعاد، أكد فيها أن إسرائيل ستواجه كارثة وستصبح مهددة دائماً بالحرب مع الإخوان المسلمين في مصر وسوريا والأردن، إذا نجحت الثورة السورية الجارية منذ أسابيع متواصلة في الإطاحة بنظام بشار الأسد، الذي يمثل وجوده مصلحة لإسرائيل.

وأضاف رئيس الهيئة الأمنية والسياسية بوزارة الدفاع الإسرائيلية، أن الفكر المعلن الذي تنتهجه جماعة الإخوان المسلمين في مصر والأردن وسوريا، يهدف إلى تصفية ومحو دولة إسرائيل، وإقامة إمبراطورية إسلامية تسيطر على منطقة الشرق الأوسط.

وأكد الجنرال عاموس جلعاد، أن إسرائيل شعرت بالأخطار التي تواجهها من عدة جهات، خاصة في مصر، لهذا قررت أن تحسن علاقاتها مع تركيا، وتتحاشى القطيعة الدبلوماسية معها، حتى لا تضطر تل أبيب إلى محاربة المسلمين في عدة جبهات مفتوحة ستؤدى في النهاية إلى خسارتها بالتأكيد.

ألم قلم

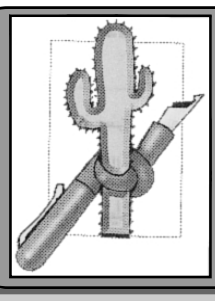

حكاية... الخ...

حدثني أخ لي مقرب حفظه الله وأمتعه وإيانا بالصحة والعافية أنه بعد أن اشتكى من علة في الأيام الماضية، جاءه أحد أحبائه بعلبة مستخلصات أعشاب بهدف استخدامها للعلاج.. ولما كانت "أعشاب" هذه الأيام تحاول أن تساير الزمن والتطور، فإن العلبة قد كُتب عليها الأدواء التي تصلح لها، كما تمت الإشارة إلى مكوناتها. لكن الغريب أن مكونات هذه العلبة تضمنت عبارات طريفة من نوعها.. ذلك أنه تم إثبات نوعين معروفين من الأعشاب، وأُتبع هذا الثبت ب : "الخ".

ومعلوم أن هذا الرمز "الخ" اختصار لعبارة "إلى آخره". ولمشتري هذه العلبة أن يتخيل ما يمكن أن تحمله من معنى عبارة من هذا القبيل.

- "إلى آخره" من الأعشاب النافعة لك أيها المريض.

- "إلى آخره" من الأعشاب التي لا ينبغي لك أن تعرفها، وليس من حقك ذلك.

- "إلى آخره" من الأعشاب التي تدخل في سر المهنة، مما هو مسجل في براءة الاختراع المحلية، الخاصة بالمنتج دون غيره..

- إلى آخره على كل حال وفي كل حال..

لست ضد التداوي بالأعشاب، بل إني من المقتنعين بجدواها ودورها الأساسي والطبيعي في الحفاظ على سلامة البدن، كما أني في الوقت ذاته لست ضد ما أحرزه الطب الحديث من تقدم كبير في أكثر من مجال وأنى يكون لي ذلك، وقد أنقذ الطب الحديث الإنسانية من ويلات العديد من الأمراض، وأخرجها من دائرة العديد من الأوبئة.

ولكني ضد سوء استعمال أي منهما أو توظيفه فيما هو غير صالح للمريض، سواء بعدم معرفته لكُنْه ما يتداوى به نتيجة عدم إطلاعه على مكوناته، أو بوصف ما هو غير مناسب نتيجة جهل أو خطأ أو بغاية ربح سريع يتجاوز حقوق المريض وحالته الإنسانية أولا التي تتطلب التدخل لإنقاذه ورعايته قبل كل شيء.

ما الذي يمنع منتجي مستخلصات هذه الأعشاب كيفما كان شكلها ونوعها من إثبات مكوناتها، حتى يعرف المشتري على ما ذا هو مقبل؟

بل ما المانع حتى من إثبات النِّسب من كل مادة؟، وحتى إن كان هناك سر من أسرار المهنة، يكون في طريقة التحضير والتركيب.

إن طبنا الشعبي -من وجهة نظري -ذو أهمية كبيرة، سواء بالنظر إلى طبيعيَّته وإقبال شرائح كبيرة من الناس عليه، أو بالنظر إلى تاريخه القديم وارتباطه ببيئة الناس الطبيعية والجغرافية والمناخية. ولذلك فهو جدير بإخضاعه للدراسة والبحث العلمي، والتجارب التطبيقية، لا أن يبقى مجالا للتخمين والتقدير.

لقد أثبتت عدد من البحوث العلمية قيمة العديد من التجارب الطبية الشعبية، ورغم أني بعيد عن تخصص المهنة، لكني أحسب أن ما حققه الصينيون في مجال تطور طبهم الشعبي، حتى أثبت جدارته وجدواه وأصبح الإقبال عليه على المستوى العالمي جدير بأن يؤخذ منه الدرس والعبرة.

فلماذا لا نقتفي بعض آثارهم، ويكون لطبنا الشعبي اهتمام علمي ورسمي؟! ولتكن البداية بتدوين خبرات عدد من كبار السن في هذا المجال، أو على الأقل نقل تجاربهم إلى جيل الشباب، في انتظار أن يكون لهذا الطب معاهد ومدارس.

د. عبد الرحيم بلحاج

قوانين القرآن الكريم 23

لخبير الجمال الدعوي الدكتور محمد راتب النابلسي

قانون معرفة الله

سر التفلت من منهج الله

... القانون اليوم قانون معرفة الله، الحقيقة الصارخة والدقيقة والمهمة، أن أصل الدين معرفة الله، الإنسان إذا عرف الآمر وهو الله، ثم عرف الأمر وهو المنهج، تفانى في طاعة الآمر، أما إذا عرف الأمر ولم يعرف الآمر تفنن في التفلت من الأمر. ولعل مشكلة المسلمين الأولى أنهم عرفوا الأمر، لكن معرفتهم بالآمر ضعيفة، لذلك تفننوا في التفلت من منهج الله عز وجل.

معرفة الرحمن بين الكون والتكوين والقرآن

... الآية التي هي أصل في معرفة الخالق المربي المسير، الإله العظيم الآمر هي قوله تعالى ﴿إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله﴾(النحل : 104) فكأن الطريق إلى الإيمان بالله أن تؤمن به من خلال آياته، وقد قسم بعض العلماء الآيات التي هي علامات في طريق الهدى إلى أنواع ثلاثة:

أ- آيات كونية وهي نوعان :

- خلق الله: السموات والأرض والجبال، والسهول والأنهار، والشمس والقمر، والنبات والحيوان والجماد.

- وخلق الإنسان : آيات الله عز وجل في الآفاق... وخلق الإنسان هو جرم صغير ولكن انطوى فيه العالم الأكبر، إذن الآيات الأولى آيات كونية أساسها الآفاق والإنسان ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾(فصلت :52).

ب- هناك آيات أخرى هي آيات تكوينية، وهي أفعال الله. أفعال الله آيات تكوينية، كما أن خلق الله آيات كونية.

جـ- آيات قرآنية، وهي كلام الله جل و علا فالطريق إلى معرفته يمكن أن يكون سالكا من خلال آياته الكونية والتكوينية والقرآنية. ولنضرب على ذلك بعض الأمثلة.

رحلة القمر في ألف عام

رحلة الضوء في يوم واحد

... كلنا يعلم أن العالم الكبير اينشتاين وصل إلى حقائق قلبت مفاهيم الفيزياء، من أبرز هذه الحقائق، وصل إلى السرعة المطلقة في الكون، إنها سرعة الضوء، ولكن عقد مؤتمر للإعجاز العلمي الخامس في موسكو، وقد ألقيت في هذا المؤتمر محاضرة دقيقة جدا حول سرعة الضوء، فكان من حقائق هذه المحاضرة أن الله سبحانه وتعالى يقول ﴿وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾(الحج :47) والعرب تعد السنة القمرية، والقمر يدور حول الأرض دورة كل شهر، وبحساب بسيط، لو وصلنا خطا بين مركز الأرض ومركز القمر، هذا الخط نحسبه سريعا من خلال نصف قطر الأرض، مع نصف قطر القمر، مع المسافة بين الأرض والقمر، هذا الخط هو نصف قطر الدائرة التي هي مسار القمر حول الأرض.. لو ضربنا هذه المسافة بين.. مركزي الأرض والقمر.. باثنين لكان القطر، لو ضربنا ب "Π" 3,14 لكان المحيط، إذن نعرف محيط الدائرة التي هي مسار القمر حول الأرض. لو ضربنا في 12 لكان في العام، لو ضربنا في ألف عام، فالجواب بحساب بسيط، بآلة حاسبة مع معطيات دقيقة، يمكن أن نحسب كم هي المسافة التي يقطعها القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام. المفاجأة التي قد لا تصدق أننا إذا قسمنا هذه المسافة، ما يقطعه القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام على ثواني اليوم، ثواني اليوم 60 ب 60 ب 24 لكانت المفاجأة الصاعقة، أن الجواب هو سرعة الضوء الدقيقة، يعني 299652، هذه السرعة سرعة الضوء التي تعد السرعة المطلقة في الكون. من أين جئنا بها؟ يعني ما يقطعه القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام، يقطعه الضوء في يوم واحد، لو قسمنا على ثواني اليوم لكانت السرعة التي تنتج عن هذا التقسيم سرعة الضوء ﴿وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾(الحج :47) لكن هناك آية ليس فيها ﴿مما تعدون﴾ ﴿وإن يوما عند ربك كخمسين ألف سنة﴾، قالوا هذه

إذن إن أردنا أن نعرف الله، فينبغي أن نتفكر في آياته الكونية، وأن ننظر إلى أفعاله، آياته التكوينية، وأن نتدبر القرآن، فهو آياته القرآنية، وحينما نعرف الله نعرف كل شيء

سرعة الملائكة ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾(المعارج : 4).

ألم نجعل له عينين

... آيات الكون آيات دالة على عظمة الله، آيات الكون لا تعد ولا تحصى.. من هذه الآيات ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾(فصلت : 52) الله عز وجل يقول يخاطب الإنسان ﴿ألم نجعل له عينين﴾(البلد : 8) لقد خلق الله في العين الطبقة الخارجية هي طبقة القرنية، طبقة شفافة، وكيف كانت شفافة؟ لأن كل الأنسجة في الجسم تتغذى عن طريق الأوعية الشعرية، فلو غذيت هذه الطبقة القرنية في العين عن طريق أوعية الشعر الدقيقة للدم لرأينا ضمن شبكة، ولأن خلق الله متقن ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾(التين : 4) إذن تتغذى القرنية في العين بطريقة فريدة، تسمى هذه الطريقة التغذية عن طريق الحلول، أي أن الخلية الخارجية تأخذ غذاءها وغذاء جارتها وتنقله عبر الغشاء الخلوي. صنع من؟ دقة من؟ وأن في شبكية العين في الملمتر، وقبل أن أقول الرقم، إن أحدث آلة للتصوير احترافية ورقمية فيها في الملمتر الواحد عشرة آلاف مستقبل ضوئي، أما العين فيها بالملمتر الواحد مائة مليون مستقبل ضوئي.. لذلك ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾(النمل : 88) و﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾(فاطر : 28).

هذه العين فيها ماء، والإنسان حينما يسافر إلى بلاد باردة، هناك الحرارة 70 تحت الصفر، فبإمكانه أن يغطي رأسه، ويرتدي الجوارب الصوفية والقفازات في يده، والمعطف والألبسة الداخلية الصوفية، ولكن ليس بالإمكان أن يغطي عينيه، إذن لابد لكل من يقطن في هذه البلاد من أن يفقد بصره، لأن 70 تحت الصفر تجمد ماء العين، فيفقد الإنسان البصر. من أودع في ماء العين مادة مضادة للتجمد؟ ﴿سنريهم آياتنا في الافاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾(فصلت :52) إذن الآيات الكونية هي خلق الله عز وجل، وهي مبثوثة في الآفاق

وفي كل شيء له آية

تدل على أنه واحد

والكون كله ينطق بوجود الله ووحدانيته وكماله، بل إن الكون قرآن صامت، وإن القرآن كون ناطق، وإن النبي عليه الصلاة والسلام قرآن يمشي، هذه الآيات في خلق الله، فماذا في أفعال الله؟

معرفة الله بين التفكر في التكوين والتدبر للتلقين

الآيات التكوينية : باخرة عملاقة صنعت في مطلع.. القرن "الماضي"، وقد جاء في نشرتها أن القدر لا يستطيع إغراق هذه السفينة، إنها ﴿تيتانيك﴾(لكن فعل الله عز وجل كان درسا قاسيا لهذا التطاول على الذات الإلهية، فغرقت في أول رحلة لها بين بريطانيا وأمريكا... هذه آية من آيات الله التكوينية، أفعاله، وهذا المرض العضال ﴿الإيدز﴾ الذي تحدى العالم كله، والذي هو بسبب الانحراف والشذوذ آية من آيات الله، من أفعاله.

... الله عز وجل نصب الآيات الكونية كي نتفكر فيها ﴿إن في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الالباب﴾(آل عمران :190)..

ونصب الآيات التكوينية للنظر فيها. إذن هناك آيات كونية، هناك آيات تكوينية.

والآيات القرآنية هي تدلنا على سر الوجود، وغاية الوجود، والأمر بالعبادة، وماذا بعد الموت.

إذن إن أردنا أن نعرف الله، فينبغي أن نتفكر في آياته الكونية، وأن ننظر إلى أفعاله، آياته التكوينية، وأن نتدبر القرآن، فهو آياته القرآنية، وحينما نعرف الله نعرف كل شيء ﴿ابن آدم اطلبني تجدني، فإذا وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتك فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء﴾... إلى لقاء آخر إن شاء الله تعالى...

مواقف وأحوال

صبْر ووفَاء

كان الحديث في العدد السابق عن ابن اللباد رحمه الله، وكيف أنه سأل الله جل وعلا الثبات على الصراط وقد فلجتا فقال: اللهم ثبتهما على الصراط يوم تزلُّ الأقدام، وأنت العالم بهما، والشاهد عليهما، أنهما ما مَشَتَا لك في معصية!!

واليوم أذكرك بموقف آخر من مواقف هذا الفقيه المالكي الكبير رحمه الله، ذلك هو صَبْره على زوجة سيئة الخلق وفاء لوالدها وخوفا من إذاية زوج لا يستطيع تحمل أخلاقها إن هو طلقها:

وألفت نظرك أولا إلى أن نسَب الطلاق مرعبة، والتفكك الأسري في ازدياد مخيف، وقضايا الأزواج في المحاكم بلغت أرقاما تنذر بشر مستطير، إلا أن يتداركنا الله برحمته، وإن تعجب فإن أغلب القضايا الأسرية المعروضة على القضاء، والتي تؤدي في الأغلب الأعم إلى الطلاق، قضايا تافهة، وأسباب ليست ذات قيمة ولا اعتبار، فماذا لو سمع كثير من الأزواج من الرجال والنساء موقف الإمام ابن اللباد رحمه الله مع زوجته، وكيف صبر عليها وقد آذته أشد ما تكون الإذاية، وأساءت له أسوأ ما تكون الإساءة، وإنما صبر عليها لسببين:

أولهما الوفاء لوالدها الذي زوجه إياها، وما أكثر ما ينسى الناس الوفاء.

وثانيهما: الخوف من أن يتزوجها شخص آخر بعد طلاقها، فيكون ابن اللباد قد تسبب لهذا الزوج في الإذاية!!

قال القاضي أبي الفضل عياض رحمه الله: وكانت له امرأة سليطة، تؤذيه بلسانها. يحكى أنها قالت له يوماً: يا زان! فقال: سلوها، فبمن زنيت؟ قالت: بالخادم. قال: سلوها لمن الخادم؟ قالت: له(1). فقال له أصحابه: طلقها، ونحن نؤدي حقها، فقال: أخشى إن طلقتها، أن يُبتلى بها مسلم. ولعل الله دفع عني بمقاساتها بلاءً عظيماً. ويقال: بل قال: حفظتها في والدها، فإني خطبت إلى جماعة فردّوني، وزوجني هو لله تعالى. وكان يفعل معي جميلاً، أفتكون مكافأته طلاقها؟ وكان يقول: لكل مؤمن محنة، وهي محنتي(2).

هل سمعتم بصبر كهذا؟ وهل رأيتم وفاء كهذا؟

إن ابن اللباد إنما تعلم الصبر من كتاب ربه وسنة نبيه، وما غفل عن قول الله تعالى: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾، ولا عن قول النبي ﷺ: «...والصبر ضياء».

ومن آي القرآن الكريم تعلم ابن اللباد الوفاء، وفي سيرة النبي ﷺ رأى الوفاء،

قال حسان بن ثابت رضي الله عنه يرد عن النبي ﷺ:

هجوتَ محمدا فأجبت عنه
وعند الله فى ذاك الجزاء
هجوت محمدا برا تقيا
رسول الله شيمته الوفاء
فإن أبي ووالده وعرضي
لعرض محمد منكم وقاء
فأين أنت من صبر ابن اللباد ووفائه؟؟

1- فهي ملك يمين، وقد أباح الله لنا ملك اليمين بنص القرآن، فالزوجة إذن كاذبة مفترية.
2- ترتيب المدارك 289/5

ذ. امحمد العمراوي
من علماء القرويين
amraui@yahoo.fr

الأعمال بالنيات 1

د. لخضر بوعلي

عن أبي حفص عمر بن الخطاب ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»(1)

التعريف براوي الحديث

هو عمر بن الخطاب أمير المؤمنين فاروق هذه الأمة الذي لا يحتاج في الأصل إلى تعريف ولكن الرجل عندما روى الحديث كان يعرف ما يروي ويقدر ما يروي...

سبب ورود هذا الحديث

يرجع إلى ما ذكره ابن حجر في الفتح عن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال : من هاجر يبتغي شيئا فإنما له ذلك ، هاجر رجل ليتزوج امرأة يقال لها أم قيس فكان يقال له مهاجر أم قيس، ومن طريق الأعمش أنه خطبها فأبت أن تتزوجه حتى يهاجر فهاجر فتزوجها، وذكر ابن دقيق العيد أنه هاجر إلى المدينة لا يريد بذلك فضيلة الهجرة وإنما هاجر ليتزوجها(2).

ومهما يكن من سبب الورود فإن العبرة بعموم اللفظ الذي ينبغي أن يشمل كل عمل وكل عامل وكل نيّة. فلا يصح حصر الحديث في مهاجر أم قيس ولا في هجرته ولا في قصده الزواج بأم قيس. **كل ما في الأمر أنه حدث ارتبط بحديث ليكون نموذجا لحكم النبي ﷺ على فعل قام به رجل مسلم، وهو حكم ورد بصيغة العموم ليشير إلى المنهج النبوي في تنزيل الأحكام الشرعية على الواقع، وليكون مناسبا لكل مسلم أحسن في العمل وأخطأ في القصد. إنه حكم رسول الله ﷺ الذي هو حكم الله الأول(3).**

إن الأمر هنا لا يتعلق بمجرد خبر رجل هاجر نزولا عند رغبة امرأة رغب في الزواج منها، ولا مجرد حكم على سلوك هذا الرجل مظروفا في زمان ومكان. **إنه حكم الله المطلق عن الزمان والمكان والصالح لكل زمان وكل مكان، وهو تعليم لأولي الأمر من الأمة كيف ينزلون النص المناسب المتضمن للحكم المناسب على أعمال الناس في الواقع.**

إن حياة رسول الله ﷺ "الرسالية"(4) ارتبط فيها نزول الوحي بتنزيله في مناسبات متعددة(5)، ولما التحق الحبيب ﷺ بالرفيق الأعلى انقطع الوحي وتولى الله تعالى جمعه وحفظه وكلف الأمة بحسن فهمه وحسن تنزيله.

وعلى هذا فإن كل حكم شرعي يستنبط من هذا الحديث -أو من غيره- مع مراعاة قواعد الاستنباط، يكون صالحا إلى قيام الساعة إذا أُحسِن تنزيله على مناطه.

حصر الأعمال في كونها بالنيات

قال ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات».

هذا أول خبر يُزفُّ(6) إلى الناس، أخبر به الرحمن الرحيم الذي قرره، وحمله إليهم من أرسله الله تعالى رحمة للعالمين ﷺ.

1 - إنه مظهر من مظاهر تكريم الله لهذا الإنسان ليوجِّه عمله بمنتهى الحرية، ويبتغي به ما هو واقر في سويداء قلبه.

إنها النيّة -موضعها القلب(7)- الذي لم يجعل الله لأحد سبيلا عليه، فهو مستودع أسراره وموضع اختياراته ودائرة نفوذه التي لا يخضع فيها لأحد على الإطلاق إلا لإرادته(8) ولا ينوب عنه فيها أحد.

إنها القدرة على قراءة الذات والنظر الهادئ إلى عيوب الذات والدعوة الحقيقية إلى إصلاح الذات ... ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون؟﴾(الذاريات : 21).

فإذا كان القلب -موضع النية- هو موضع سر الإنسان الذي لا يطّلع عليه أحد إلا الله الذي ﴿يعلم السر وأخفى﴾(طه : 7).

وموضع اختياراته التي تتجلى فيها محض إرادته.

ودائرة نفوذه التي لا يخضع فيها لأحد ولم يجعل الله لأحد عليه سلطانا.

فهو، إذاً، موضع نظر الله منك ليراك على حقيقتك.

لأن القلب لما جعله الله موضع الأسرار وموضع الاختيار وموضع اتخاذ القرار كان معبراً بحق عن حقيقة الإنسان.

ولذلك لا يقبل الله تعالى من أحد عذراً، قال تعالى للكافرين : ﴿يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون﴾(التحريم : 7) وقال سبحانه للمنافقين: ﴿لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾(التوبة : 66). وقال عن عموم الإنسان: ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره﴾(القيامة 14- 15).

ولما جعل الله القلب -موضع القصد- خالصا لعبده ، لم يقبل من عبده من العمل إلا ما كان له خالصا.

أفلا يجدر بالكيّس الفطن أن يوفِّر الجهود التي يبذلها في إصلاح الأطراف والهوامش وأن يقصد بالإصلاح موضع القصد.

2- في عالم الأسباب لا يتحرك الإنسان وحده بل هناك أشياء كثيرة تتفاعل وقوى كثيرة تتدافع، فهل يمكن له أن يتصوّر ماذا يمثل فيها؟. ولذلك كثيرا ما يقصد الإنسان أمرا أو أموراً قد يحرص عليها كل الحرص ويحققها في عالم أحلامه ويبني عليها أمورا أخرى يتطاول إليها قصده وتبلغها نيّته ، ويتخذ من أجلها كل المتيسر من الأسباب ويبذل فيها كل ما يملك من القوة... ولكنه يفاجأ بعوامل أخرى تتدخل فتصرفه عن قصده أو تصرف قصده عنه وتُحوِّل الأحلام إلى آلام وتَحُول بينه وبين ما نسج من الأحلام. إنه لم يفعل شيئا في الواقع ولكنه فعل الكثير على مستوى القصد : ﴿ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب﴾(التوبة : 79).

هل يستوي عند الله قلبان قلب بات يعتصر من آلام الأمة ويحمل همّ الأمة ويقتطع جزءً من نومه وراحته ليفكر ويخطط كيف يصلح ما يمكنه إصلاحه من واقع هذه الأمة ..وقلب مريض يمكر بالليل والنهار وهو على عقبه ناكص مستكبر يسمُر ليُهجِر؟(9).

إن لهذه النيات عند الله اعتبارا -ثوابا وعقابا- لأنها تعبر عن حقيقة أصحابها أما ترجمتها إلى واقع فإنه لا يملك منه إلا اتخاذ المتاح من الأسباب.

3 - كل عامل له باعث على عمله يبعثه فينبعث فلا يتركه حتى يبلغ الغاية أو ينهي العمل(10). فإن ترك عمله قبل أن ينهيه بمحض إرادته، فإن هذا الترك يعتبر باعثا جديدا يحل محل الأول إما توبة إن كان الباعث الثاني أحبّ إلى الله وأقرب إلى رضوانه، أو سقوطا -والعياذ بالله- إن كان الباعث الأول أفضل.

فإذا كان العمل لا يعتبر إلا بصحة القصد ودوامه فإنه لا وجود للعبث ولا للتراجع في حياة المسلم.

والتنبيه إلى كون الأعمال تعتبر بالنيات يتضمن كون هذه الأعمال صالحة لأن المؤمن يعلم أن العمل المخالف للشرع لا يرجى منه ثواب. وقد يقع منه عمل غير صالح لم يكن في دائرة قصده فلا إثم فيه عليه.

يتبع...

1- أخرجه البخاري في الصحيح كتاب بدء الوحي باب كيف بدأ الوحي إلى رسول الله ﷺ.

2 - هذه خلاصة مجموعة من الروايات أوردها ابن حجر العسقلاني في الفتح ج1 / 10.

3 - الأول صفة لله تعالى وليست للحكم والمقصود بها صفة القدم وحكمه متعلق بذاته سبحانه وقد كان قبل الزمان وقبل المكان وقبل الإنسان ليكون صالحا لكل زمان وكل مكان وكل إنسان. وحصر حكم الله تعالى في زمان أو مكان أو إنسان هو إلحاد في أسماء الله تعالى و صفاته.

4- المقصود بالحياة الرسالية حياته الشريفة من البعثة إلى أن التحق بالرفيق الأعلى.

5- المقصود هو ارتباط النص القرآني بسبب النزول، والنص الحديثي بسبب الورود.

6- استعملت كلمة زفّ لما تحمله من معنى البشارة وهو كذلك عندما نحسن تدبره.

7- لا خلاف في ذلك بين الفقهاء.

8- قال تعالى: ﴿من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد الدنيا نوته منها وما له في الاخرة من نصيب﴾.

9- هذا الكلام مستلهم من قوله تعالى : ﴿قد كانت اياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون﴾(المومنون 67- 68) ومن سورة سبأ 33 قوله تعالى : ﴿وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تامروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا، وأسروا الندامة لما رأوا العذاب...﴾.

10- هي معانٍ دلّت عليها الباء في قوله:" بالنيات" التي تفيد السبب (الباعث على العمل) أي أن العمل لا يكون إلا بنيّة، أو المصاحبة التي تفيد ضرورة بقاء النيّة وعدم قطعها إلى نهاية العمل.

مهما يكن من سبب الورود فإن العبرة بعموم اللفظ الذي ينبغي أن يشمل كل عمل وكل عامل وكل نيّة. فلا يصح حصر الحديث في مهاجر أم قيس

تتمة افتتاحية

أليس يأتي من أبناء هذا البلد أي من الإنسان اللبنة الأساسية فيه. هو الذي ينبغي أن توجّه إليه العناية أولاً.

فإلى هذا الإنسان نوجه القول للقضاء على ما انتشر من مشاكل مستعصية نذكره وندعوه إلى تدبر قوله سبحانه : ﴿والرجز فاهجر﴾.

والرجز مأخوذ من أصل لغوي يدل على الاضطراب في المشي والانحراف في الذات وحركتها فهناك خلل في استقامتها وتوازنها بما يطبعه بطابع العيب في مقوماتها والنقص حتى في أدائها فالاضطراب والخلل يبدو في العقل وفي الفكر وفي أجهزة التلقي والاستقبال عند الانسان ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافون﴾(الأعراف : 179) وقس على ذلك سائر أعضاء الجسم التي تستجيب عادة للعقل والسمع والبصر، التي لا توظف التوظيف السليم من الألسنة والأيدي والأرجل والبطون والفروج.

وفسّر الرجز بالصنم والوثن أي بعبادته وبالنجاسة والمعصية. وهو كل تصرّف قولي أو فعلي فيه انحراف عن العقيدة والإيمان والحق والعدل والخير وما يُنال به رضا الله سبحانه بحسب ما تعارف عليه علماء كل عصر وما تلقته عنهم عامة الناس، لأن الناس يُحدثون من أنواع الانحراف والآثام والمعاصي بحسب زمنهم فيدخل كل ذلك في الرجز. وما أكثر أنواع الانحراف في هذا العصر من المنكرات والمفاسد والرشوة والغش وترويج ما يُفسد العقول ويُهلك النفوس من الخمور والمخدرات خصوصا في الفئات التي يُرجى أن تكون عُمدة المجتمع والأمة في المستقبل وضمان استمرار قوتها وعزتها، فئات الشباب ذكوراً وإناثاً. وهم عُمدتها في الرفع من مردوديتها في ميادين العلم والثقافة والإدارة والحياة العامة.

فيا من أكرمكم ربكم بالإسلام الذي به نجاتكم في الدنيا والآخرة يقول لكم ربكم الذي خلقكم يأمركم بما يصلحكم ويدفع عنكم السوء والمضرّة ﴿والرجز فاهجر﴾.

انتبهوا إلى كل رجز كيفما كان نوعه ومن أي يد وصل إليكم تريد خرابكم وتريد إضعافكم وإشاعة الفساد بينكم في أرواحكم وأبدانكم وأبنائكم.

انتبهوا إلى ذلك وقفوا منه موقف الرفض الواعي بأسباب الرفض الذي لا يقبل أبدا أن يخوض فيه لأنه ضرب من النجاسة والمؤمن طاهر ينبغي أن يُحافظ على طهارته الروحية والعقلية والجسدية والفعلية.

إن الأمة العربية قد بنت تاريخها ومجدها على دينها بمقوماته ومبادئه السامية اهتمت في ثقافتها وتربيتها بالإنسان تلقّنه السلوك القويم القائم على الأدب مع الله ومع رسوله ﷺ ومع باقي إخوانه المسلمين وعلى ربط أواصر الرحمة والألفة والاحترام مع جميع الناس.

فليكن شعارنا مع بداية السنة الهجرية المباركة ﴿والرجز فاهجر﴾.

التبليغ عند رسولنا ﷺ 3

ذ. محمد فتح الله كولن

و- صلح الحديبية من زاوية الدعوة :

يشكل صلح الحديبية بعدا آخر في مجال فرص الدعوة والتبليغ. فقبول رسول الله ﷺ الشروط القاسية للصلح قوبل في بداية الأمر من قبل بعض الصحابة أمثال عمر بن الخطاب رضي الله عنه - الذي لا يشك أحد في قوة ارتباطه بالرسول ﷺ وتعلقه به - بردود فعل سلبية وباعتراض، وبدا لفترة قلقة أن فرصة الصلح ستضيع.

ولكن الذي حدث هو أن المسلمين استطاعوا في السنة التالية الدخول إلى مكة بكل حرية.. هذا الدخول الذي أصبح موضوع حديث أهل مكة لسنة كاملة، مما فتح مغاليق كثير من القلوب للإسلام شيئا فشيئا، فأسلم كثير من الشخصيات المهمة في مكة بمحض إرادتهم أمثال خالد بن الوليد وعمرو بن العاص(12) وقد لعب دخول هؤلاء إلى الإسلام بمحض إرادتهم ودون أن ينخدش كبرياؤهم دورا مهما من زاوية الخدمات الكبرى التي أدوها فيما بعد للإسلام.

كما أن إظهار الصحابة شدة تعلقهم برسول الله ﷺ في أثناء البيعة لم يغب عن أنظار الوفد المكي، مما يسر تفتح القلوب للإسلام.

ز- الدعوة الفردية :

عندما كان رسول الله ﷺ في ذروة الصعود والانتصار لم يهمل العلاقات الفردية، بل أولاها اهتماما كبيرا. فمع أنه كان يعلم أن أهل مكة جميعا سيطلبون منه الصفح والغفران قريبا وسيستسلمون له إلا أنه مع هذا لم يهمل الترحيب الكبير لمقدم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وإسلامهما بين يديه. فارسل بعض أصحابه لاستقبال هذين الشخصين العبقريين. وعندما أقبل عليه خالد بن الوليد وسلم عليه بالنبوة ونطق بالشهادتين قال له رسول الله ﷺ "

"الحمد لله الذي هداك قد كنتُ أرى لك عقلا رجوتُ أن لا يُسلمك إلا إلى خير."

كان كلام رسول الله هذا من أبلغ آيات الفخر لرجل في ذلك الموقف النفسي. ومن يدري ماذا فعلت هذه الكلمات بروح خالد ودورها في إشعال جذوة الإيمان في قلبه.

أما عمرو بن العاص فقد أمسك بيد رسول الله ﷺ لا يريد أن يدعها وهو يقول له : يا رسول الله أبايعك على أن تغفر لي ما تقدم من ذنبي. فقال رسول الله ﷺ : "إن الإسلام يجب ما قبله والهجرة تجب ما كان قبلها."(13).

أجل، كان رسول الله ﷺ قد أخذ بمقاليد القلوب، ولكنه كان يوظف هذا ويستخدمه في صالح الدعوة وفي صالح التبليغ، فاقبل عليه الناس يدخلون في دين الله أفواجا. ومن تلك الأمواج وصلتنا موجة في هذه الأيام. وأنا أومن بأن الرسالة المقدسة لرسولنا ﷺ ستبقى وستستمر حتى قيام الساعة.

وحسبما نقرأ في الصحف فإن آلافا من الأوروبيين يسلمون، والدنيا بأجمعها مقبلة على الإسلام. أجل، إن أوربا حامل بالإسلام وستلد يوما ما، وأما العالم الإسلامي فهو في آلام المخاض وسيلد قريبا، ثم انظر إلى شرق العالم حيث كان الفكر المنافق والملحد متحكما وسائدا، فعلى الرغم من مرور أكثر من نصف قرن على سياسة التذويب ومسخ الشخصية فإن البلدان الإسلامية فيها مثل تُركستان وكازاخستان وأذربيجان وأوزبكستان وداغستان وقرغيزستان لم تفقد شيئا يذكر من روحها ومن فكرها، وهي مقبلة يتلهف على عالمها الروحي والفكري الخاص بها. وفي القريب سيرتفع الأذان المحمدي في كافة أطراف الأرض وسيقبل الناس أفواجا على الإسلام، فلن يدع ممثلو دعوة النبي ﷺ أي بقعة من بقاع الدنيا دون إيصال صوت الدعوة إليها، وهم إذ يفعلون هذا يتخذون المحبة لهم أسلوبا والحنان صفة.

ح- استحقاق رعاية الله وعنايته :

يقول الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾(المائدة: 67).

ما خاطب الله تعالى أي نبي من أنبيائه بمثل هذا الخطاب، فعند خطابه لأنبيائه السابقين كان يخاطبهم بأسمائهم المجردة. أما هذا الخطاب بصيغة التعظيم فهو خاص برسوله محمد ﷺ.

فالرسول هو الشخص الذي يحمل رسالة من الحق سبحانه، ويبلغ أخبار عالم الغيب إلى الناس. وخطاب الله تعالى له بهذه الصفة تشريف له من جهة، وتذكير لنا بسمو منزلته عنده من جهة أخرى. فهو يعلن شرف نبوته، والنبي ﷺ يبلغنا رسالة نبوته وهو سيظل تحت ظل هذا الشرف وهذه المرتبة الرفيعة. أي يقول لنا بأن النبي الذي يخاطبكم وتخاطبونه شخص - إن جاز التعبير- يوقره الله تعالى ويحترمه فلا يخاطبه باسمه : "يا محمد.. يا محمد.." بل يخاطبه ب﴿يا أيها الرسول﴾.. أي يا أيها الذي يحيي القلوب والنفوس بالوحي الإلهي... ويا أيها النبي الذي يهرع لنجدة الإنسانية وإنقاذها.. وبهذا فقد سما به الله تعالى إلى ذروة نورانية، وشرفه بالرسالة والنبوة وجعله أهلا لأن يخاطبه مباشرة، لذا، نرى أن بعض المحققين يرون أن الله كلمه مباشرة في ليلة المعراج. فكما أن سائر الوحي تم من وراء حجب -وإن كان من قبل الله تعالى- كذلك فقد تم هذا في المعراج ولكن من دون حجاب(14).

فهذا هو نبينا محمد المصطفى ﷺ، وهذه هي المرتبة التي وضعه فيها ربه وقال له : بلغ ما أنزل إليك من ربك، ولا تجعل أي شيء عائقا أمامك من خوف أو قلق أو أي مانع آخر كالجوع أو العطش أو حب الجاه والمنصب في الدنيا.

ونحن نشهد أن الرسول ﷺ لم يعقه أي عائق بل قام بتبليغ الرسالة وأداء الأمانة حق الأداء. لقد انفرج أمامه باب الرسالة، فقام بفتح الباب على مصراعيه بصورة لم يسبقه أحد من قبله. وعلى ضوء ذلك يمكننا أن نفهم قوله تعالى : ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾(النجم : 9) من هذه الزاوية، إذ أنه تخطى جميع الحدود حتى وصل إلى مرتبة يصفه فيها أمير الشعراء فيقول :

حتى بلغت سماء لا يطار لها
وقيل : كل نبي عند رتبته
على جناح، ولا يُسعى على قدم
ويا محمد هذا العرش فاستلم

وهذا يعني تجاوز عالم الإمكان وتخطيه. وبهذه المناسبة أتذكر "أوغست كومت (August Comte)" أحد مؤسسي المدرسة الوضعية والذي قضى حياته في معاداة الدين، لأنه كان يرى أن أي شيء لا يدخل ميدان التجربة العلمية فهو هراء وكلام لا معنى له. غير أن هناك حادثة متعلقة به ذكرت في أحد كتب التاريخ وهو كتاب "تاريخ مراد". فقد ذهب "كومت" إلى الأندلس، وعندما رأى الآثار والفنون الإسلامية الرائعة هناك ذهل وبقي مدة يتأملها بإعجاب كبير، ثم بدأ يسأل هناك بعض الأشخاص عن الإسلام. وعندما أخبروه أن محمدا ﷺ كان أميا ذهل بل صعق ولم يصدق هذا القول، وذهب إلى روما وقابل البابا التاسع وسأله عن هذا الأمر مستحلفا إياه أن يقول له الصدق. وعندما أكد له البابا صحة ما قيل له لم يملك نفسه إلا أن يقول : "إن محمدا ليس بإله.. ولكنه ليس بشرا أيضا". الم يقل شاعرنا البوصيري :

فمبلغ العلم فيه أنه بشر
وأنه خير خلق الله كلهم

أجل، كان إنسانا له أب وأم وله جانبه المادي، ولكن لا يمكن فهمه ولا إيضاحه من جانبه المادي أبدا. فهو طائر في سماء النبوة، ولكن حديثنا عنه يدور على الدوام عن البيضة التي خرج منها. بينما وصل في المعراج إلى موضع نعجز عن إدراك ماهيته، لأن هذا خارج الإدراك والشعور البشري.

إن التبليغ ضروري إلى درجة أن الله تعالى وظف له أحب خلقه إليه وأحاطه علما بمدى ضرورة القيام به وحذره من التقصير في أي جانب منه.

ومن ثم فإن التبليغ والدعوة هما من أهم واجباتنا نحن الذين ننتسب إلى أمته. ويجب ألا ننسى أن خلاص البشرية لا يتم أبدا إلا بدعوته وبانفاسه ثم بأنفاس متبعيه والسائرين في دربه.

12- البداية ذوالنهاية لابن كثير 4/273-269
13- البداية والنهاية لابن كثير 4/273، "كنز العمال" للهندي 13/374
14- البداية والنهاية لابن كثير 4/271، "المسند" للإمام أحمد 4/199
15- انظر: البخاري، الصلاة، 1، مسلم، الإيمان، 259، "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير 7/424

قسيمة الاشتراك

الاسم الكامل : .....
العنوان الكامل : .....
.....

الاشتراك السنوي (20 عددا) :

- داخل المغرب : 60 درهما.
- خارج المغرب :

20 أورو أو مايعادلها.

ترسل الاشتراكات باسم :

- جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية.
- أو جريدة المحجة على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين -فاس) رقم: 2111113412900014

أما قسيمة الاشتراك والتوصيل فيبعثان إلى مقر الجريدة، على العنوان التالي :

جريدة المحجة (قسم الاشتراك) :
حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 - الدكارات
فاس - المغرب

إشراقة

العدل في القضاء أساس النماء

ذ. عبد الحميد صدوق

عن سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد، عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر جندب ابن جنادة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ فيما يروى عن الله تبارك وتعالى أنه قال : «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا».

كان أبو إدريس إذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبتيه، رواه مسلم، وروينا عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله قال : ليس لأهل الشام حديث أشرف من هذا الحديث.

لقد بين الله تعالى في هذا الحديث الإلهي أن الظلم مستحيل في حقه تعالى وقد جاء في التنزيل : ﴿ولا يظلم ربك أحدا﴾(الكهف : 49) وقال تعالى : ﴿وما الله يريد ظلما للعباد﴾(غافر : 31) وقال تعالى : ﴿إن الله لا يظلم الناس شيئا﴾(يونس : 44) وقال تعالى : (وما أنا بظلام للعبيد﴾(ق :29) وقال تعالى : ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة﴾(النساء : 40) هذا ما تقرر في التنزيل في حق رب العالمين، فإذا وقع العباد في الظلم فأبشر بخراب العمران وفساد حال الإنسان.

يقول ابن خلدون : حصول النقص في العمران عن الظلم والعدوان أمر واقع لا بد منه... ووباله على الدول، ولا تحسبن الظلم إنما هو أخذ المال أو الملك من يد مالكه من غير عوض كما هو المشهور، بل الظلم أعم من ذلك... وكل من أخذ ملك أحد أو غصبه في عمله أو طالبه بغير حق أو فرض عليه حقا لم يفرضه الشرع فقد ظلمه.. وجُباة الأموال بغير حقها ظلمة... ووبال ذلك كله عائد على الدولة بخراب العمران، ثم قال رحمه الله : واعلم أن هذه هي الحكمة المقصودة للشارع في تحريم الظلم، وهو ما ينشأ عنه من فساد العمران... والعدوان على الناس في أموالهم.. ودمائهم.. يفضي إلى الخلل والفساد دفعة وتنقص الدول سريعا بما ينشأ عنه من الهرج المفضي إلى انتقاض العمران بالهرج أو بطلان المعاش(1).

ولهذا بين سبحانه في هذا الحديث القدسي عدله في خلقه وأنه من جاهد في إتيان الأسباب المشروعة للوصول إلى الأغراض المنشودة بلغه الله بعدله وتوفيقه إلى غرضه من غير فرق بين إنسان وأخر.

1- المقدمة 288.

الهجرة النبوية وفقه سنن الشهود الحضاري

د. الطيب الوزاني

توطئة:

لم يكن حدث هجرة الرسول ﷺ حدثا عابرا ولا بسيطا ، بل كان حدثا من العيار الحضاري الثقيل أحدث نقلة حضارية نقل الله به المسلمين في شبه الجزيرة العربية من: مرحلة الذل إلى مرحلة العز والنصرة والتمكين، ومن الغياب الحضاري إلى الشهود والشهادة على الأمم، ومن الانحسار إلى الانتشار.

ولا يحصل هذا الانتقال الحضاري من غير أخذ بأسبابه وموجباته، ومن دون فقه سنن البناء والتداول الحضاريين، فما هي سنن الشهود الحضاري؟ وكيف تحققت في جيل الصحابة؟ وكيف مثلت هجرة الرسول ﷺ الوعي الصادق والتطبيق الحقيقي لسنن الشهود الحضاري؟

أولا في دلالات المفهوم:

دون الدخول في الشروح اللغوية لألفاظ الفقه، والسنة، والشهود والحضارة، وإن كان مفيدا في تحقيق التدرج المنطقي في تصور المعنى المركب، إلا أني أقف بشكل عام عند المصطلح: فقه سنن الشهود الحضاري الذي يعني العلم والعمل بالقوانين التي شرعها الله لعباده وجعلها شروطا للترقي الإيماني والحضور الفاعل بين الأمم والشهود العادل عليهم.

فليس بإمكان أمة أن ترتقي سلم الحضارة وتكتسب التفوق والريادة والقيادة للأمم اعتباطا ومن غير اهتداء بسنن التاريخ وقوانين التداول والتغالب والتدافع، ولم يحصل في التاريخ أن وجدت أمة اعتلت عرش الحضارة وهي غافلة وجاهلة، نائمة راكدة ، ضعيفة ومغلوبة، مشتتة وممزقة، متدابرة ومتناحرة بل العكس هو الصحيح.

وما أنزل الله رسالته على رسول إلا وتضمنت ما يلزمه وقومه من فقه لسنن الله تعالى في التاريخ والاجتماع البشري والعمران القوي العادل، لتبليغ رسالته وتحقيق الخيرية لأمته.

والقرآن الكريم الذي هو خاتمة الرسالات إلى الناس تضمن هدايات لقوانين التداول وسنن الخيرية التي تعصم مراعاتها من الوقوع في الانحطاط الحضاري والتبعية للأمم، وتضمن لمن راعاها الشهود والريادة الدنيوية والفوز والنجاة في الحياة الأخروية، ورسول الله ﷺ -الذي بعثه الله خاتم الأنبياء والمرسلين وأسند إليه مهمة تطبيق الدين وبيانه وتربية جيل من النماذج الحاملة لفقه سنن الشهود والعاملة به- يعتبر النموذج الأمثل في ذلك.

ثانيا في نماذج من سنن الشهود الحضاري في التربية النبوية :

لم تكن تربية النبي ﷺ للصحابة والمؤمنين إلا تطبيقا لهدايات الله تعالى ومنهجه في تكوين الجماعة المؤمنة الحاملة لبذور الإنبات الحضاري والتفريخ بعد ذلك: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم منَ اثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستَغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار﴾(الفتح: 29)

وهذه الصفات هي المؤهلة لكل أمة للشهود الحضاري:

- القوة والشدة على الخصوم في الجبهة الخارجية(التوازن في القوى بين الأمم)
- الرحمة وأخلاق العدل في الجبهة الداخلية لرص البنيان
- العبودية لله جل وعلا ﴿تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم منَ اثر السجود﴾
- الإنبات الطبيعي ﴿فأخرج شطأه﴾
- التآزر والتساند ﴿فآزره﴾
- الاستواء والنضج والرشد ﴿فاستغلظ..﴾

إن هذا التشبيه الحسي الذي ورد وصفا لأصحاب الرسول ﷺ هو في العمق وصف لتربيته عليه السلام ولصناعته في إخراج النموذج الأمثل لحمل الرسالة علما وعملا وتبليغا، وهو وصف أيضا لتحقق فقه سنن الله في الأمة الموعودة بالخيرية والشهادة على الناس. ولذلك فرسول الله ﷺ لم يكن له من هم سوى تعليم صحابته فقه سنن الخيرية الضامنة للشهود الدنيوي والخلود الأخروي:

ومن السنن التي ربى رسول الله ﷺ صحابته وأهلتهم لما صاروا فيه من عز وذكر ومجد:

- **سنة الاصطفاء في الدعوة** واختيار النماذج ذات الشخصية القوية والعقل الراجح، إذ لا تتفوق الأمة إلا باختيارها لرجالها وما يصلحون له من وظائف ومهام، ورعاية قاعدة الرجل المناسب في المكان المناسب.
- **سنة التعلم والتعليم للعمل والتبليغ:** فقد حرص رسول الله ﷺ على تربية الصحابة على التلقي مباشرة عن الله تعالى، وأخذ العلم عن الوحي من غير واسطة، وربط العلم بالعمل والتبليغ، وقرن الإيمان بالعمل الصالح، وربط العلم بالتربية صلاحا وإصلاحا، فلا قيمة لعلم لا يرى له أثر صالح في البيئة الاجتماعية، ولا عبرة بإيمان لا ينتج الخير في الفرد والمجتمع.

وما ضعفت أمة إلا بانفصال العلم عن العمل. ولا قيمة للتعلم من أجل التعلم فقط دون تكييف المعرفة لتخدم الفرد والمجتمع لتجعل من الجميع صالحا مصلحا ، ناصحا منتصحا، عالما وعاملا ومبلغا، وما ضعفت أمة الإسلام إلا حينما تخلت عن تلقي العلم عن الله مباشرة، وفصلت الإيمان عن العمل، وتخلت عن وظيفة التبليغ والبلاغ.

- **سنة الله في التعمير والتدمير** قائمة على معيار الطاعة والعصيان، والإخلاص والإشراك، الإصلاح والإفساد. لذلك فرسول الله ﷺ ربى الصحابة رضوان الله عليهم على هذه القاعدة من خلال قصص القرآن، وبيان فعل الله في الأقوام السابقين مؤمنين وجاحدين، مصلحين ومفسدين، كما كان يربيهم على أن يعملوا بما يحقق رضوان الله ويجلب لهم ولايته وهو العلم والعمل بما أنزل وشرع وتبليغه والتواصي به.
- **سنة التآخي والتكافل :** فقد نزل القرآن الكريم باعتبار المسلمين أمة واحدة، وأفرادها تجمعهم رابطة الأخوة الإيمانية التي تستدعي كل صور التناصر والتآزر والتضامن والتآخي والتعاون والإيثار التي من شأنها أن تحقق معنى الجسدية في الأمة : «مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»، هذه الجسدية بهذه الأوصاف ما تحققت في أمة إلا تأهلت للريادة الحضارية والتفوق على الأمم.

وقد ربى رسول الله ﷺ صحابته على هذه الخصال وفقههم بها علما وتحقق، وحرص عليهم في تطبيقها والتخلق بها سواء في المرحلة المكية(في حصار شعب أبي طالب مثلا) أم في المرحلة المدنية (المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين).

ثالثا في أن الهجرة النبوية نموذج لفقه سنن الشهود الحضاري:

إن نظرة متأنية لمقاصد الهجرة والحكمة منها وفق سنن الله تعالى تبين لنا أن الهجرة هي واحدة من سنن الله لحصول الولاية والتمكين والنصرة وأنها تضمنت أسرارا عظيمة تحققت فيها سنن الشهود الحضاري تحققا جليا، ومن السنن التي يجب استفادتها من حدث الهجرة:

- **سنة اتخاذ الأسباب والإعداد المادي والمعنوي:** تجليات هذه السنة في سيرة رسول الله ﷺ تفوق العد والحصر، فهو وإن كان موعودا بالنصر، ومحفوفا بالولاية الربانية والإلهية والعصمة "والله يعصمك من الناس" "فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم"؛ فهو لم يترك سببا ينصر به الدين ويقوي به شوكة المسلمين إلا عمل به، ولم يتخل في يوم من الأيام ولا حتى ساعة واحدة عن التفكير في تبليغ الدين والدعوة إليه، ولا يضيق به مسلك إلا تجده يخطط لنجاح أكبر وانفراج أوسع، ويعتبر حدث الهجرة حدثا بارزا في الإعداد والتخطيط والتضحية الدؤوبة بكل المقاييس:بدءا من إرسال الدعاة واستقبال الوفود في بيعتي العقبة وانتهاء بالإعداد له بتهيئة الركب وشراء البعيرين، واختيار الوقت والرفيق والزاد، واتخاذ الحيطة والحذر، والسرية والكتمان، وترك علي رضي الله عنه في مكانه، واختيار طريق الساحل، واتخاذ من يأتي له بالأخبار والتخفي وإخفاء الأثر...)، فكانت سيرته ﷺ كلها عملاً بالأسباب وتدبيراً وتخطيطاً مادياً ومعنوياً لأمر الدين والدعوة وإعداد العصبة المؤمنة الشاهدة القائدة.
- **سنة العمل والتضحية في سبيل العقيدة:** إن النبي ﷺ ما وصل إلى مرحلة الأمر الإلهي له ولأصحابه بالهجرة إلا بعد سلسلة من التضحيات الجسام والعمل الخالص لله تعالى وللدين، وبذل الوسع في نشر الدين وتبليغ رحمة الله بصدق وإخلاص، وبحكمة وتعقل وتبصر، وقد يظهر للبعض أن الهجرة جاءت بسبب الإخفاق في نشر الدين داخل قومه إلا أن العكس هو الصحيح، فقد جاءت بعد أن استجاب الأخيار والعقلاء ودَخل فئة من المؤمنين الأقوياء الأمناء الذين زادت صلابة إيمانهم ورجاحة عقولهم بما لاقوا من امتحانات وابتلاءات في سبيل الله تعالى، وجاءت الهجرة أيضا بعد أن نجح النبي ﷺ من فتح الجبهة الخارجية وإعداد من يحتضن هذا الدين وينصره من غير أهل مكة، فالهجرة إذن نجاح أكبر وتتويج لنجاحات في الجبهة الداخلية والخارجية (الهجرة إلى الحبشة ثم الهجرة إلى المدينة وإرسال الرسائل وإيفاد الدعاة إلى القبائل...).
- **سنة لا نصرة لدين إلا بنصرة أهله له،** وبذلهم في سبيله الغالي والنفيس من العلم والعمل والتعليم والتبليغ، والإنفاق عليه أموالا وأنفساً، والصبر في تحمل الأذى والمشقة في سبيل اعتقاده به والعمل به وله. هذه قاعد تابعة لسابقتها ومرتبطة بها وهي قاعدة في غاية الأهمية لما لها من صلة بسنن فقه الشهود الحضاري، فلا يتصور في أمة تتقاعس عن نصرة دينها وثقافتها ولا تتشبث بمقوماتها أن تظفر بالريادة، والمسلمون أحوج اليوم أكثر من أي وقت مضى إلى فقه هذه القاعدة والعمل بها والاقتداء برسول الله ﷺ وصحابته في قوة علمهم بهذا الدين وعملهم له، والتضحية في سبيله بكل ما يملكون قوة مادية ومعنوية.
- **سنة التدرج والمرحلية واعتبار الأولويات في كل شيء:** إن حدث الهجرة لم يأت الأمر به إلا بعد سلسلة من الإجراءات والتدابير اللازمة لإعداد ما يلزم إعداده، واستفراغ الجهد والطاقة البشرية، وإلا فالرسول صلى عورضت دعوته منذ البداية وعذب صحابته وحوصروا ولم ينزل الأمر بالهجرة لأن الأمور لم تكتمل حلقاتها ولم تتوفر شروطها وأسبابها الكافية.
- **كل إنسان وكل أرض مستعدة لقبول دعوة الله،** فهذا الدين نزل للناس جميعا فينبغي نشره في العالم وفي جميع الجهات والأمصار، خاصة في زمننا هذا الذي أصبحت فيه سبل تبليغ الدين ونقله إلى البشر جميعا أمرا ميسورا خاصة أن المسلمين موجودون في كل بلد من بلدان الكرة الأرضية، وهذا سبيل من سبل تحقيق الشهود الحضاري.

خلاصات ونتائج:

يستفاد مما سبق ما يلي :

- **إن حدث الهجرة يدخل في سياق قانون السببية وتجلت فيه كل مظاهر وتجليات السببية** المادية والمعنوية، مما يعني أن على المسلمين نبذ كل مظاهر السلبية والتواكل والتهاون في نصرة الدين، حتى ينتقلوا إلى مرحلة الشهود الحضاري التي وعدهم الله تعالى بها.
- **إن نصرة الله لعباده وولايتهم ورعايتهم تكون على قدر عملهم وتضحيتهم وإخلاصهم للدين والعمل به** وتعليمه وتبليغه والدعوة إليه، والمسلمون اليوم في حاجة ماسة لفقه هذا الأمر لاستئناف المسيرة الحضارية، والتحقق بصفة الخيرية.
- **إنه جسد انتصار قيم الحق والحكمة والتعقل،** فبقدر الالتزام بالحكمة وفقه الأولويات والمقاصد والتعقل يكون النجاح مضمونا فالطيش والتهور والعاطفة الجياشة والحماسة المفرطة لا تأتي إلا بنقيض المقصود، وأغلب مصائب المسلمين اليوم من ترك الحكمة والتعقل وسلوك مسالك العاطفة والحماسة.
- **العمل لهذا الدين بما يخدمه ويديم بقاءه واستمراره في الأجيال** عن طريق مشاريع اجتماعية في التعليم والتربية والإعلام دور القرآن وتكوين العلماء العاملين والمربين، وهجر السوء بجميع أنواعه وألوانه، وتربية الأجيال على كراهية الخبائث المادية والمعنوية وهجرها، وحب الخير للناس والحرص على إنقاذهم من براثن الفساد وإدخالهم إلى عالم الخيرية والرحمة.

الهجرة النبوية وصناعة الأمة المسلمة

د. يوسف العلوي

الرسول وصناعة الأمة المسلمة

ننطلق في هذا الموضوع من قوله تعالى : ﴿لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة﴾(الأحزاب : 21).

لنقتبس منها قبسات منها : أن الله تعالى صنع محمدا على عينه (وأدبه فأحسن تأديبه). فاصطفاه من خير البشر واصطفى له الزمان والمكان والإنسان وأدبه فأحسن تأديبه ثم أخرجه للناس ليكون نموذج عبد الله المرضي عند الله المستحق للاستخلاف في الأرض وليقول له ومن خلاله للناس ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعون يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾(آل عمران : 31) ولنخلص إذن إلى أن جوهر مبعث الحبيب عليه الصلاة والسلام هو "**صناعة القدوة**". هذه القدوة المتمثلة في دائرة الفرد ودائرة الجماعة ودائرة الأمة.

ففيما يخص دائرة الفرد فقد أعطى الحبيب ﷺ القدوة فيها على طول حياته القصيرة زمانا العريضة إنجازا، وكانت أجلاها في المرحلة المكية الأولى حيث قدم أنموذج عبد الله في مختلف علاقاته : علاقته بالله تعالى، وعلاقته بنفسه الزكية وعلاقته بالناس سواء كانوا أهل بيته أو أتباعه أو خصومه، ثم علاقته بالكون، وكان في كل ذلك مثال : الكمال البشري.

وفيما يخص دائرة الجماعة فقد بنى ﷺ جماعة من أتباعه هم رواحل هذه الأمة وأعمدتها : فسقاهم بماء المحبة وخلاهم من أدران الجاهلية ونسج بينهم خيوط التعاون والتآزر والتناصح والتناصر، فكانوا بحق جماعة فريدة تستحق أن تسمى الجماعة الجسد التي صورها بانيها ﷺ بقوله : «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

والتي قدمت للتاريخ أنموذجا لجماعة "الرحماء بينهم". ولما اكتملت صياغة هذه الجماعة الجسد بفتن جماعي في شعب أبي طالب لمدة ثلاث سنوات واستنفذت أغراضها في بيئة قرشية جاحدة ساقها القدر الرباني إلى مجال أرحب وبيئة أخصب هي المدينة المنورة لتكون كما وصف المولى جل وعلا ﴿محمد رسول الله والذين معه...﴾(أواخر سورة الفتح)

غرضنا أن نتحدث عن هذه النقلة العجيبة الخالدة في ضمير التاريخ.

ما الحكمة منها؟ ولماذا اختيار المدينة المنورة؟ وكيف ساهمت هذه الرحلة المسماة هجرة في بناء صرح هذه الأمة الخالد؟

من حكم الهجرة النبوية

أما الحكمة من الهجرة فحكم لا يحيط بها القلم ولا يحصيها العد لكن حسبنا أن نبسط بعضها ونشير إلى الآخر يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون﴾(الحشر : 8) نعم أولئك هم الصادقون وحدهم إلا من عمل عملهم فنال درجتهم وهيهات! فإذا كان مدار هذا الدين على ا لصدق بمعناه الواسع الشامل الذي يعني تمام الخلوص لله تعالى بحيث يبيع المؤمن نفسه لله تعالى فلا يقيل ولا يستقيل﴿إن الله اشترى من المومنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾(التوبة : 112)ولا يبقي شيئا لا نفسا ولا مالا، ولايستثني ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة﴾(البقرة : 206).

وإذا كانت التربية المكية قد رسخت ثلاث ركائز تربوية في نفس المؤمن بها قوام دنياه وأخراه وهي :

- توحيد المعبود وهو الله تعالى فلا يتأثر ولا ينفعل ولا يقدم ولا يؤخر إلا بالتوجيه الصادر منه إليه.
- وتوحيد المتبوع وهو النبي ﷺ فيتبرأ المؤمن من كل تبعية للعشيرة أو القبيلة أو الأهواء ويقتدي في تفكيره وتعبيره وتدبيره بالمصطفى عليه الصلاة والسلام وحده.
- وتوحيد المرغوب وهو الدار الآخرة ورضوان الله الأكبر فلا تطمع نفسه ولا تشتاق روحه ولا يمد عينيه إلى زخرف الدنيا الزائل وغرورها الحائل بل يطمع فيما عند الله﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض وفسادا﴾(القصص : 83).

إذا كانت التربية النبوية قد شيدت هذه الركائز وهي أعمدة الإيمان ومفهوم كلمة الإسلام "لا إله إلا الله محمد رسول الله". فإن المؤمن منذ أن قالها واعتقدها دخل في زمرة المهاجرين إلى الله تعالى وإن لزم داره ووطنه، فإن مفارقة حال الكفر إلى حال الإيمان هجرة، ومفارقة حال الشرك إلى حال التوحيد هجرة ومفارقة تولي المشركين إلى تولي الله ورسوله هجرة ومفارقة اتباع هوى النفس إلى اتباع أوامر الشرع هجرة... والانتقال من حال سيئ إلى حال حسن هجرة، والارتقاء من حال حسن إلى حال أحسن هجرة...

لذلك لما كمل حال المؤمنين بمكة فتحققوا من صفة الهجرة وتخلقوا بها، توج الله تعالى هجرتهم الشعورية هذه بهجرة مكانية بالانتقال من مكة إلى المدينة ليجعلهم مخَلصين بعد أن صاروا مخلصين فقطعوا كل الحبال وتمسكوا بحبل الله المتين، وفارقوا كل محبوب وقصدوا حمى الودود. وتخلوا عن كل مملوك ليعبدوا مالك الملك، وباعوا كل شيء ليربحوا كل شيء "وربح البيع أبا يحيى!" وطلقوا اختيارات نفوسهم واختاروا ما اختار الله تعالى لهم ﴿ما كان لمومن ولا مومنة إذا قضى الله ورسول أمراً أن تكون لهم الخيرة من أمرهم﴾(الأحزاب : 36) وتبرؤوا من كل الولاءات وتولوا الله ورسوله وأولئك حق لهم أن ينالوا شرف ولاية الله «ومن عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب»(متفق عليه).

لكن ما الحكمة من اختيار المدنية داراً للهجرة وتفضيلها واصطفائها على باقي قرى الجزيرة العربية؟

من حكم ومقاصد اختيار المدينة دارا للهجرة

يمكن الحديث عن هذه المسألة من عدة جوانب :

أ- من الناحية البشرية :

سكان المدينة المنورة من أوس وخزرج أصولهم يمنية نزحوا إليها عند انتشار القبائل اليمنية شمالا في الجزيرة العربية واستقروا بها، فهم إذن من العرب العاربة وقد ورثوا بعض ملامح الحضارة اليمنية الضاربة في أعماق التاريخ، أما المهاجرون من أهل مكة فهم خالص ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام فهم إذن من العرب المستعربة وهكذا تكون الهجرة قد جمعت بين المكونين الأساسين لسكان الجزيرة العربية وهم العرب المستعربة (قريش) والعرب العاربة (أوس وخزرج) وفي ذلك بذور الوحدة بين العرب باعتبارهم حملة هذه الدعوة الموحِّدة الأوائل. ثم إن أهل مكة هم رؤوس العرب وسادتها وأشرافها والناس تبع لهم، والأنصار من أوس وخزرج أهل حرب وطعان تمرسوا في الحروب التي كانت تقع بينهم فصاروا من أعظم المحاربين حتى قال سيدهم سعد بن معاذ يوم بدر «وما نكره أن تلقى بنا غداً عدونا، إنا لصُبُرٌ في الحرب صدق في اللقاء، ولعل الله أن يريك منا ما تَقَرُّ به عينك»(سيرة ابن هشام) لذلك استحقوا من الله تعالى لقب الأنصار أنصار الله ورسوله وأنصار دعوته التي قامت على أكتافهم وارتوت بدمائهم.

علمنا إذن أن دعوة الإسلام انبنت أول الأمر على عقول نيرة ونفوس شريفة وسواعد قوية.

ب- من الناحية الاقتصادية :

إذا كان المهاجرون من قريش أغلب عيشهم من التجارة والرعي فهم تجار متمرسون، فإن سكان المدينة من الأوس والخزرج أغلبهم مزارعون يزاولون زراعة التمور والحنطة وتربية الماشية في واحة يثرب بينما استحوذ اليهود على تجارة المدينة، لذلك كانت الهجرة جمعا وتوحيدا لأهم الأنشطة الاقتصادية في الجزيرة العربية وهي التجارة والفلاحة لتبني النواة الأولى للأمة المسلمة على قواعد اقتصادية شاملة ومتكاملة. وما اتخاذ سوق خاص ب المسلمين بعد الهجرة والاستغناء عن سوق بني قينقاع اليهود إلا لبنة أولى في استقلال ونمو اقتصادي مزدهر بالمدينة عاصمة المسلمين.

ج- من الناحية الاستراتيجية :

توجد المدينة المنورة شمال مكة على بعد حوالي 500 ميل مما يجعلها قريبة من بلاد الشام الأرض المباركة وهي أيضا توجد على الطريق الرابطة بين اليمن والشام عبر مكة والمدينة، وهي قريبة من البحر الأحمر وتتصل ببلاد الرافدين عبر طريق مباشرة ولذلك كانت المدينة مؤهلة لتكون عاصمة دولة الدعوة المسلمة يسهل انطلاق كتائب الدعاة المجاهدين منها إلى الآفاق، فإذا أضفنا إلى ذلك الموقع الجغرافي الحصين للمدينة حيث توجد بين حرتين أو لابتين.

يضاف إليهما جبل أحد في الشمال ونخيل وزروع يهود بني النضير وبني قريظة في الجنوب لتمنح حماية طبيعة من الصعب جداً اختراقها ومثال غزوة الخندق في غاية الوضوح.

ثم إ ن الوجود الكثيف لليهود داخل المدينة (بنو قينقاع) وفي جنوبها وجنوبها الشرقي (بنو قريظة وبنو النظير) وقريبا منها في خيبر وفدك ووادي القرى أثر ثقافيا واجتماعيا في عرب المدينة من أوس وخزرج فصاروا على قدر من العلم بالرسالات السابقة، وقدر من التشوف للنبي الخاتم الذي كانت تتوعدهم به يهود، فكانت أفئدتهم أسرع لقبول الحق لما جاءهم به المصطفى ﷺ. وإذا كان دور اليهود أساسيا في التسريع بدخول الأنصار في الإسلام، فإن القضاء على نفوذهم وقطع أرجل أخطبوطهم الاقتصادي والسياسي المنتشر في الجزيرة العربية كان ضروريا لفتح قلوب العرب وقراهم لدعوة الإسلام؛ فلم يكن بإمكان الدعوة المسلمة في المدينة أن تنتشر بشكل يكتسح الجزيرة العربية مع وجود كيد يهودي ماكر شديد تدعمه أفكار خبيثة وتفوق حضاري ومالي وسط مجموعة من الأميين.

خلاصات ومستفادات

وصفوة القول إن الهجرة جمعت في المدينة بين المهاجرين من قريش الذين رباهم الرسول ﷺ تربية أرقمية قائمة على العزئم وفق منهاج قرآني مؤسس وبين الأنصار أهل النخوة والكرم الغَناء في المدلهمات قوم يكثرون عند الفزغ ويقلون عند الطمع لتكون منهم النواة الأولى لدولة مسلمة فتية تحمل مشروعا حضاريا ربانيا هو الإسلام، ولها قيادة نبوية يوحى إليها، و تنطلق من أرض مستقلة هي حدود المدينة المنورة أو التراب كما في نظرية ابن خلدون رحمه الله تعالى. ومن خلال هذه الدولة قدم الحبيب ﷺ النموذج في مؤسسات الدولة المسلمة وخططها من إمارة ووزارة وولاية وقضاء... كما قدم القدوة في أحوال الدولة وتنظيماتها الداخلية وكيفية تعاملها مع مكوناتها المختلفة وتعاملاتها وعلاقاتها الخارجية في السلم والحرب.

لكل هذا كان فاروق الأمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعه الصحابة الكرام رضي الله عنهم موفقين في اختيار حدث الهجرة بداية للتاريخ للمسلمين؛ ذلك أن التاريخ هو تاريخ الأمة المسلمة وليس تاريخ فرد معين، والأمة لم تولد حقيقة إلا مع الهجرة المباركة. فإذا كانت الأمم والشعوب تبدأ التأريخ لنفسها بميلاد زعيم أو موته أو انتصار في معركة حاسمة أو غزو لبلاد معينة، فإن الأمة المسلمة بدأت تاريخها بشعيرة تعبدية هي الهجرة طاعة لأمر الله تعالى ودليلا على الخلوص التام له سبحانه وانعتاقا من كل أوتاد الأرض وتمسكا بالعروة الوثقى لا انفصام لها، وسمواً على عوالق الأرض، ورغبة في الدار الآخرة. واستعلاء على التفكير الفردي، وتقديما لأمر جماعة المسلمين، وانتصاراً على هوى النفس ومصالحها الخاصة وايثار واجبات الجماعة المسلمة وتضحياتها.

إن الهجرة مثلت في تلك الفترة بطاقة الهوية أو شرط الانتماء إلى الأمة المسلمة مصداق ذلك في قوله تعالى في أواخر سورة الأنفال : ﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا﴾(الأنفال : 73) نعم لا ولاية لمن لم يهاجر وإن آمن حتى يُهاجر، لذلك لم يكن مقبولا أو مباحاً لمسلم يومن بالله واليوم الآخر أن يتخلف عن الهجرة والانضمام إلى صفوف الأمة المسلمة في مدينة رسول الله ﷺ.

فكل مسلم كان في أمس الحاجة إلى صحبة رسول الله ﷺ ليستفيد من تربيته وتوجيهه، ولأن الأمة الناشئة كانت في حاجة إلى كل أفرادها مجتمعين في مكان موحد لينطلقوا منه أمة واحدة تتبع إماما واحداً وتؤم أمراً واحداً هو الدعوة إلى الله تعالى : ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعن وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾(يوسف : 108).

الهجرة النبوية بين التدبير الإنساني والإعجاز الرباني

د. عبد الرحيم الرحموني

لم تكن المعجزة النبوية حدثا بسيطا، بل كانت من أهم الأحداث التي عرفتها مرحلة النبوة، إذ تعتبر الانطلاقة الأولى لتأسيس دولة الإسلام في المدينة، كما تعتبر مرحلة انتقالية بين عهدين : عهد مكي كان فيه القرآن الكريم يركز على بناء العقائد والتصورات. وعهد مدني اتجه فيه الذكر الحكيم إلى رسم التشريعات للدولة الناشئة. ولأهمية الحدث، اتخذه المسلمون بداية للتاريخ الإسلامي.

ويكتسب حدث الهجرة أهميته بالنظر إلى عدد من الأسباب يمكن أن تجمل في التنظيم المحكم والتخطيط المتقن من جهة، وإلى التأييد الإلهي والإعجاز الرباني من جهة ثانية، ويمكن تفصيل بعض ذلك في النقاط التالية :

1- التدابير الإنسانية :

أ- النية والعزم : كل أعمال المسلم يشترط فيها النية مصداقا لقوله ﷺ : "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه"(1). ولقد كانت نية رسول الله ﷺ في الهجرة بارزة وصادقة، فلقد أذن لمسلمي مكة بالهجرة إلى المدينة، وتوالت هجراتهم، "ولم يتخلف منهم إلا من حبس أو فُتن، إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر رضي الله عنهما، وكان أبو بكر كثيرا ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة، فيقول له رسول الله ﷺ : لا تعجل، لعل الله يجعل لك صاحبا، فيطمع أبو بكر أن يكونه(2).

●ب- احتياطات الرسول ﷺ الخاصة : كانت أولى تدابير الرسول ﷺ الخاصة، عدم مبيته في فراشه الذي كان ينام فيه، وذلك في الليلة التي اعتزم فيها مشركو قريش قتله، ولذلك طلب ﷺ من علي بن أبي طالب أن يبيت في فراشه. وهو احتياط دفع من كان يتربص به من المشركين إلى الاعتقاد أنه ﷺ لا زال نائما في فراشه. ولقد أتى آت إليهم وأخبرهم بخروجه، لكنهم لم يصدقوه حتى أصبحوا، فقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه من الفراش. فقالوا : والله لقد صدقنا الذي حدثنا(3).

ومن بين احتياطاته ﷺ الخاصة كذلك، تغيير أوقات الزيارات، وخاصة لمنزل أبي بكر رضي الله عنه. عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت : "كان لا يخطئ رسول الله ﷺ أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار، إما بكرة وإما عشية، حتى إذا كان اليوم الذي أذن فيه لرسول الله ﷺ في الهجرة.. أتانا رسول الله ﷺ بالهاجرة، في ساعة كان لا يأتي فيها"(4).

ومما يرتبط بهذا الجانب أيضا، الخروج من غير الباب المعتاد، وسلوك طريق منحرف، إذ أنه ﷺ خرج مع أبي بكر من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته، ثم عمدا إلى غار ثور فدخلاه(5) وهذا في غاية الاحتياط، إذ أنهما لم يتوجها مباشرة إلى المدينة، بل مكثا في الغار ثلاثا، حتى هدأ الطلب، فلما خرجا سلك بهما الدليل طريقا جانبيا لم يكن مطروقا في الأسفار بين مكة والمدينة.

ج - إعداد العدة : كان مما اتخذه أبو بكر رضي الله عنه حينما طمع في الصحبة أن "ابتاع راحلتين، فاحتبسهما في داره يعلفهما إعدادا لذلك(6). ومن تمام هذه العدة أن أبا بكر حينما قدم أفضل الراحلتين للرسول ﷺ ليركبها، أبى عليه الصلاة والسلام أن يفعل ذلك إلا بعد أداء الثمن من عنده، وذلك رغبة منه صلى الله عليه وسلم أن تكون هجرته إلى الله بنفسه وماله حتى يستكمل فضل الهجرة والجهاد على أتم أحوالهما(7). وبذلك يعطي الرسول ﷺ القدوة لغيره في النموذج الأمثل للتضحية بالمال والروح والنفس، فلم تلهه ﷺ اللحظات الحرجة التي كان يعيشها، أن يتذكر واجب التضحية بالمال.

ومن العدد التي أعداها كذلك، استئجار دليل خبير يدلهما على الطريق، وخادم يخدمهما، وفي استئجار دليل مشرك أمين احتياط هو الآخر فيما يبدو، إذ أن المشركين لا يرتابون إذا خرج دليل مشرك من مكة يقود راحلتين، أما لو كان، الدليل مسلما، فإن تأمين خروجه من مكة ووصوله إلى الغار يبدو بعيد المنال نظرا لتربص المشركين بالمسلمين، ومراقبة كل تحرك مريب، حتى إن سراقة بن مالك علم بمخرج رسول الله ﷺ، بعد أن أطلعه أحد أفراد قومه بذلك وهو جالس في نادي قومه.

ومما أعداه وهيأه كذلك تأمين وصول الطعام والأخبار إليهما وهما في الغار، فلقد أمر أبو بكر ابنه عبد الله أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر، وأمر عامر بن فهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره في رعيان أهل مكة، فإذا أمسى أراح عليها فأحتلب، فإذا غدا عبد الله بن أبي بكر من عندهما إلى مكة، أتبع عامر أثره بالغنم حتى يعفي عليه، وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام، إذا أمست، بما يصلحهما، حتى إذا مضت الثلاث أتتهما بسفرتهما(7).

فلما أُخذت الاحتياطات، واستكملت العدة وصح العزم، وجاء التوكل على الله، مصداقا لقوله تعالى ﴿فإذا عزمت فتوكل على الله﴾، ومع التوكل على الله حق التوكل - لا مع التواكل - تكون معية الله، ويأتي تأييده وإعجازه، ويتنزل فتحه ونصره.﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه، لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها﴾.

2- المعجزات الربانية :

يظهر التأييد الإلهي للرسول ﷺ في أكثر من حالة، فلقد تمثل أولا في إخبار جبريل عليه السلام للنبي ﷺ بما دبره المشركون من عزمهم على قتله، فأوصاه ألا يبيت تلك الليلة في فراشه. ثم تلا ذلك خروجه ﷺ من بيته وهو محاصر من قبل المشركين، فأخذ الله أبصارهم عنه فلا يرونه، ونثر على رؤوسهم التراب وهو يتلو أوائل سورة يس.

ومن آيات الله تعالى في الهجرة ما نقله السهيلي عن آخرين، أن الرسول ﷺ لما دخل الغار وأبو بكر معه، أنبت الله على باب الغار الراءة، وهي شجرة كانت معروفة آنذاك. فحجبت عن الغار أعين الكفار. كما أن الله تعالى أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار، وأرسل حمامتين وحشيتين فوقعتا على وجه الغار، وكان ذلك مما صد المشركين عنه.

وتظهر قمة الإعجاز في هذه الحالة، حينما استعان المشركون بالقافة، فجعلوا يقوفون الأثر حتى انتهوا إلى باب الغار. ولقد كان الله عز وجل قادرا على أن يمحو أثرهما في الطريق ويعفيه، حتى لا يصل إليهما القائف، ولا يزعجهما مشرك، ولكن الحكمة ربانية(8) جعل تعالى بدل ذلك ما سيق ذكره، ليكون عبرة لمن اعتبر وذكرى لمن ادكر.

ومن التأييدات الربانية كذلك ما حدث لسراقة بن مالك الذي تبع رسول الله ﷺ، طمعا في المال الذي وعدت به قريش من يأتيهما برسول الله حيا أو ميتا. وفي طريقه عثر به فرسه مرتين.

وفي كل مرة كان سراقة يسقط عنه. ويستقسم بالأقداح، فيخرج السهم الذي يكره، ومع ذلك يأبى إلا متابعة الطريق. فلما بدا له رسول الله ﷺ وصاحبه عثر به فرسه، فذهبت يداه في الأرض، وسقط سراقة عنه. ولما انتزع الفرس يديه من الأرض وتبعهما دخان كالإعصار، علم حينذاك أن رسول الله قد منع منه وأنه ظاهر، فطلب الأمان لنفسه.

وإذا كان سراقة يمثل تلك الطائفة من الناس المريضة القلب، التي يغرها بريق النقود، فتبيع مبادئها وضمائرها وشرفها وعرضها - كما يقول الدكتور عماد الدين خليل(9) - فإن ما شاهده سراقة من إعجاز إلهي قد قهره وعلم أن رسول الله ﷺ ظاهر كما قال. ولذلك طلب من رسول الله ﷺ أن يكتب له كتاب أمان، حتى إذا كان فتح مكة، وفرغ رسول الله ﷺ من حنين والطائف، لقيه سراقة ومعه الكتاب، فقال له رسول الله ﷺ : يوم وفاء وبر، فأسلم سراقة، وأخبره الرسول ﷺ "أن الله سيفتح عليه بلاد فارس، ويغنمه ملك كسرى، فاستبعد ذلك سراقة في نفسه. وقال أكسرى ملك الملوك؟ فأخبره النبي ﷺ أن حليته ستجعل عليه تحقيقا للوعد"(10) ولما فتحت بلاد فارس، دعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه "بسراقة، فحلاه حلية كسرى، وقال له ارفع يديك وقل الحمد لله الذي سلب هذا كسرى الملك الذي كان يزعم أنه رب الناس وكساها أعرابيا من بني مدلج، فقال ذلك سراقة".

وبذلك تكون هذه المعجزات المتتالية التي شهد تحقيقها سراقة خلال حياته، وهو في كل مرة لا يصدق، دليلا على أن مرضى القلوب يركنون دائما إلى التكذيب، مهما بدت لهم الآيات، ولكن لا يملكون في الأخير إلا الاستسلام لنور الحق بعد أن تقهرهم الحجة، لأن الله متم نوره ولو كره الكافرون.

ومن معجزات الهجرة أيضا ما حدث في خيمة أم معبد حينما حل بها رسول الله ﷺ. فقد طلبوا منها شيئا يشترونه، فلم يجدوا عندها أي شيء، لأنهم كانوا مرملين مسنتين، فاستأذن رسول الله ﷺ أم معبد في أن يحلب شاة كان قد خلفها الجهد، فأذنت له ولم يكن بالشاة قطرة لبن - فمسح رسول الله ﷺ، ضرعها، فحلب منها في إناء، فشرب القوم، وشرب رسول الله ﷺ، ثم حلب في الإناء مرة أخرى حتى ملأه وتركه عند أم معبد(11).

تلك كانت بعض التأييدات الربانية والمعجزات الإلهية التي أيد بها رسول الله ﷺ، وهي تأييدات، كما يلاحظ، جاءت بعد أن أخذ الرسول ﷺ بكافة الأسباب الواقعية، حتى تكون الهجرة درسا واقعيا، ومعجزة خارقة للعادة في ذات الوقت : فهي درس واقعي لأنها علمت المسلمين أن الرسول ﷺ كان واقعيا بعيدا عن الخيال، وكان إذا أراد شيئا هيأ له أسبابه، ولذلك انتصر على أعدائه، ولو أغفل شيئا من الحذر والحيطة والاستعداد لتبدل الحال غير الحال(12).

وهي معجزة ربانية لأنها علمت المسلمين أيضا، أن نصر الله لا يأتي إلا بعد العمل والجد والكد والجهد. مصداقا لقوله تعالى :﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم﴾.

أخذ الرسول ﷺ بكافة الأسباب الواقعية، حتى تكون الهجرة درسا واقعيا، ومعجزة خارقة للعادة في ذات الوقت : فهي درس واقعي لأنها علمت المسلمين أن الرسول [كان واقعيا بعيدا عن الخيال، وكان إذا أراد شيئا هيأ له أسبابه، ولذلك انتصر على أعدائه، ولو أغفل شيئا من الحذر والحيطة والاستعداد لتبدل الحال غير الحال

1- أخرجه الشيخان. ومن الجدير بالذكر أن لسبب ورود الحديث هو أن رجلا من مكة قدم إلى المدينة بقصد التزوج من امرأة مهاجرة تكنى أم قيس. وأظهر أنه مهاجر إلى الله ورسوله. فعرض به النبي ﷺ وقال : "إنما الأعمال بالنيات"، وكان بعد ذلك يدعى بمهاجر أم قيس.

2- السيرة النبوية لابن هشام 2/89(طبعة دار الجبل - بيروت ن 197).

3- المصدر السابق 2/92

4- المصدر السابق 2/93

5- المصدر السابق 2/92

6- الروض الأنف للسهيلي 2/3(المطبعة الجمالية بمصر 1333هـ- 1914م).

7- السيرة النبوية 2/94-93

8 - وقد تكون من بين الحكم الربانية في هذا الباب ابتلاء الرسول ﷺ، وصاحبه أبي بكر رضي الله عنه. مصداقا لما ورد في الحديث بأن أشد الناس بلاء النبيون والصالحون ثم الأمثل فالأمثل، وقد تكون من تلك الحكم كذلك، إظهار صدق فراسة الرسول ﷺ، حينما اختار أبا بكر لصحبته، فلقد كانت صحبة أبي بكر رضي الله عنه للرسول أثناء الهجرة قمة في التضحية والفداء وتقدير مكانة الرسول ﷺ كنبي رسول، وكقائد ومؤسس. فلقد دخل رضي الله عنه الغار قبل النبي ﷺ، فلمس الغار لينظر أفيه سبع أو حية، كما أن المشركين حينما انتهوا إلى الغار، اشتد حزنه رضي الله عنه على الرسول ﷺ، وقال : إن قتلت فإنما أنا رجل واحد، وإن قتلت أنت هلكت الأمة. فقال له رسول الله ﷺ : لا تحزن إن الله معنا، قال السهيلي : ألا ترى كيف قال لا تحزن، ولم يقل لا تخف، لأن حزنه على رسول الله ﷺ شغله عن خوفه على نفسه، ثم إنه رضي الله عنه بعد ذلك، أثناء الطريق إلى المدينة كان يكثر التلفت، خوفا على رسول الله لا على نفسه.

9- دراسات في السيرة ص 138

10- الروض الأنف 6/2

11- ولعل هذا مما يستكمل معجزة الرسول ﷺ وجهاده بالنفس والمال، لأنه ﷺ لم يطلب شيئا دون أجر، بل طلب أولا ما يشترونه، فلما لم يجد شيئا، استأذن في حلب الشاة، التي قالت عنها أم معبد : إنها أجهد من أن يكون بها لبن، فدرت الشاة لبنا سائغا ببركة الرسول ﷺ ولما كانت أم معبد في حاجة إلى اللبن فقد ترك لها الرسول ﷺ الإناء مملوءا. (وانظر الروض الأنف 7/2)

12 - الرسول القائد (المقدمة)، لمحمود شيت الخطاب ص 7- 8.

انتهاء السنة الهجرية والعبرة منها

أحمد المتوكل
elmotaoukkel4@hotmail.com

قال الله تعالى: ﴿إن في خلق السماوات والارض واختلاف النهار لآيات لأولي الالباب﴾(آل عمران :190)، هذا هو حال أيام الدنيا، يمضي منه يوم ويأتي آخر، ويُقبل مساء ليذهب صباح، ويُختم شهر ليفتَتَح آخر، وتنتهي سنة لتبدأ أخرى، ونحن في هذه الأيام نعيش الأنفاس الأخيرة من هذه السنة لنستقبل عاما هجريا جديدا لا ندري هل نحياه أم نموت في أوله أو آخره أم نعيش أعواما بعده.

إن الزمان يدور بسرعة عجيبة لا يُحسّ بقيمته إلاّ المؤمن الكيس الذي يقدر للأيام قدرها، ولا يضيع فرصتها، ويعلم أن ما ضاع له من وقته لن يعود له أبدا إلى يوم القيامة، فيعتبر حياته فرصة سانحة ينتهزها ويغتنمها، ولا يلتفت إلى الماضي لأنه فات، ولا يتلهف على المستقبل لأنه لا محالة آت، فيغتنم أوقاته التي يحياها، ويملؤها بالطاعة وسائر أنواع القربات التي تدوّن عليه في سجل أعماله، لينتفع بثوابها يوم يكون المضيعون لأوقاتهم في أشد الحاجة إلى الزاد، يقول الرسول ﷺ: «اغتنم خمسا قبل خمس:حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، و فراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك»(1)، فهذا الحديث العظيم يمثل أيام الإنسان بأنها حبل ممدود، لا يدري متى ينقطع، فلربما ضاعت الفرصة، وانقلبت البسمة غصة، ومن ثَمَّ كان ينبغي للمؤمن أن لا يضيع أوقات عمره التي هي شذرات غالية نفيسة بين يديه، يندم إذا لم يضعها في موضعها، فرسول الله ﷺ أوصانا باغتنام هذه الخمس قبل حلول أضدادها، ففي الشباب قوة وعزيمة، فإذا هرِم الإنسان وتقدم سنُّه ضعُفت قوته وفترت همّته، وفي الصحة نشاط وتوق للعمل، فإذا مرض الإنسان ضَعُفت قواه، وعجز عن العطاء والإنتاج، وفي الغنى سعة وقدرة وجِدَة تمكّنه من الإنفاق والتصدق وفعل الصالحات بماله، فإذا افتقر الإنسان انشغل بطلب الرزق لنفسه ولأهله، وفي الحياة ميدان فسيح لصالح الأعمال، فإذا مات الإنسان انقطع عمله، فإذا حلَّت هذه الموانع -الموت والسقم والشغل والهرم والفقر- بالإنسان منعته من فعل الصالحات والتزود من أعمال البر، وحالت بينه وبين ما يشتهي، ودهته وهلكته هلكا، **قال الرسول الحبيب ﷺ: « بادروا بالأعمال سبعا، هل تنتظرون إلا غنى مُطغيا، أو فقرا مُنسيا، أو مرضا مفسدا، أو هرما مُفْندا(2)، أو موتا مُجهزا، أو الدجال، فشرُّ غائب يُنتظَر، أو الساعة، والساعة أدهى وأمَرُّ»(3).**

ها نحن على مشارف انتهاء هذه السنة الهجرية، واستقبال عام هجري جديد، ونحن مستمرون في غفلتنا ومستغرقون في شهوات أنفسنا، غير آبهين كيف نختم فيه أعمالنا، إنه سيذهب شاهدا لنا أو علينا بما أودعناه فيه من أفعال وأقوال.

قال الشاعر:

مضى أمْسُكَ الماضي شهيدا معدَّلا
ويَعقبُه يوم عليك شهيد
فإن كنتَ بالأمس اقترفت إساءة
فثن بإحسان في يومك الجديد
فيومُك إن اغتنمته عاد نفعه
عليك وماضي الأمس ليس يعود
ولا تُرْجِ فعل الخير إلى غد
لعل غدا يأتي وأنت فقيد

من الواجب علينا ونحن نختم سنة ونستقبل أخرى أن نقف مع أنفسنا وقفة محاسبة ومكاشفة ومصارحة، ونسائلها ماذا جمعت في صحيفة الحسنات؟ وماذا سجَّلَ عليها الحفظةُ الكرامُ في صحيفة السيئات؟ ونسأل أنفسنا قبل أن نُسأل، ماذا فعلنا مع فرائض الشارع الحكيم وأوامره؟ هل فرطنا فيها أم أديناها؟ وإذا كنا قد أديناها فهل أخلصنا فيها لله تعالى، أم أديناها برياء وبدون إتقان، وكيف كنا مع نواهي الله جل وعلا؟، هل تركناها مخافة من الله العزيز الجبار؟ أم تركناها حياء من الناس وخوفا من الفضيحة والعار؟ فلا بد للمؤمن من وقفة صريحة مع نفسه كل يوم -أسوة بالصالحين الذين كانوا يحاسبون أنفسهم كل ليلة- فإن لم تكن فليجعلها آخر الأسبوع، فإن لم تكن، فآخرَ الشهر، فالكيس الفطن هو الذي يرجع باللائمة على نفسه ويحاسبها ويحاكمها ويراقبها قبل أن يُحاكم، **قال الرسول الكريم ﷺ: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني»(4).**

ألا فلنفتح باب المحاسبة، ولنناقش أنفسنا ماذا قدّمنا لآخرتنا؟، كيف قضينا عمرنا؟ هل في طاعة ربنا سبحانه؟ أم في غيرها؟ فإن وجدنا ما يرضي الله تعالى فلنحمده على ذلك ونسأله القبول وحسن الخاتمة، وإن وجدنا غير ذلك فلنتب إلى الله التواب الغفار ونستغفره ونندم على ما فعلنا، فإن الندم توبة، **قال الفاروق عمر رضي الله عنه: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا وتجهزوا للعرض الأكبر على الله»، قال الله تعالى: ﴿ يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾(الحاقة : 18).**

إن الإنسان إذا أمضى يوما من أيام عمره في غير حق قضاه، أو خير أسداه، أو مجد بناه، أو علم تعلَّمَه وعلَّمه، أو شر عن الإنسانية دفعه، فهو حجة عليه لا له.

فالإنسان إذا حاسب نفسه فهو أقدر على العلاج وأوجد للدواء، فليقف كل واحد منا لحظة مع نفسه محاسبا إياها، ماذا أسلفت في عامها الماضي؟ فإن كان خيرا استمر عليه واستزاد منه، وإن يكن شرا أقلع عنه وتاب منه، وماذا هي فاعلة في مستقبلها؟، وماذا فعلت مع فرائض ربها وحقوق عباد الله تعالى.

يجب أن يكون توديعنا لعام واستقبالنا لآخر سببا لتحريك هممنا واستنهاض عزائمنا، ومناسبة لتقويم الماضي والاستفادة من أخطائه، والتخطيط للمستقبل وفق منهج سليم يقود إلى المنافع ويقي من المفاسد والمضار، بحيث يكون غد المؤمن خيرا من يومه، ويومه خيرا من أمسه، وعامه الجديد أفضل من المنصرم.

علينا أن نعلم أن في مرور الأيام وزوالها إيذاناً بنقص العمر وانقضائه، والأيام كلما مرت وانقضت فإن عمُر ابن آدم يذهب معها، ولقد **قال الحسن البصري رحمه الله: "يا ابن آدم إنما أنت أيام مجموعة، فإذا ذهب يوم ذهب بعضك"**، فكم يتمنى الإنسان تمام شهره وعامه ويعقد مواعيد فيها وهو لا يدري هل هو موفيها أم لا، وكم نفرح في الحياة وهي مراحل نقطعها من سفرنا، وصفحات نطويها من سجلنا، وخطوات نمشيها إلى قبورنا!، فهل يفرح بذلك إلا من استعد للقدوم على الله سبحانه وتعالى بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه.

عام نودعه ويولد عامُ
وكذاك تطوي عمرنا الأيامُ
عام نودعه وفي أعطافه(5)
يُطوي الكتاب وتُرفع الأقلامُ
ننسى الذي يمضي ونسعد
بالذي يأتي وتغرينا به الأحلامُ

يجب علينا أن نعلم أنه بانقضاء العام وبسرعة مرور الأيام يقترب منا الموت ويدنو موعد رحيلنا، وبتغير الأحوال نودع الدنيا شيئا فشيئا.

ولننظر بعين البصيرة كم مات في هذا العام من إنسان ما كان يظن أنه سيموت، وكم ولد من مولود لم يكن، وكم استغنى من فقير، وكم افتقر من غني، وكم عزَّ من ذليل، وكم ذل من كريم، هكذا الدنيا تتقلب وتتقلب معها القلوب الفارغة من الإيمان، أما القلوب المطمئنة فواعية يقظة بما يجري، ثابتة على الحق بثبوت الإيمان فيها، شعارها الإيمان الراسخ، واليقين الشامخ، لسان حالها يقول: « اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك» ويقول: ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾.

قال الله تعالى:﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾(الحشر : 18).

ويقول ربنا جل وعلا:﴿ يقلب الله الليل والنهار، إن في ذلك لعبرة لأولي الابصار﴾(النور :42)، الليل والنهار يتتابعان، وفي ذلك عبرة وذكرى لمن استعمل فكره وتأمل في أحوال الدنيا وتسارع الزمن وذهاب الناس وهلاك بعضهم وتنعُّم البعض وشقاء البعض وسعادة آخرين، فالناس مرتحلون، والدنيا متاع إلى حين، وهي شبيهة بالسراب حلوها مر، خداعة براقة مآلها إلى الدمار والخراب.

أما آن لبصائرنا أن تبصر، أما حان لقلوبنا أن تستيقظ، أما علمنا أنها أعمارنا تتخرب مبانيها، وآجالَنا تقربها الأيام وتدنيها؟ ألا نرى شبابنا كيف انقضى؟ ألا ننتبه إلى عمرنا كيف مضى؟ قال الرسول عليه الصلاة والسلام: **«اعمل عمل امرئ يظن أنه لن يموت أبدا، واحذَر حذر امرئ يخشى أن يموت غدا»(6)**. قال أبو بكر رضي الله عنه : **"إنكم تغدون وتروحون إلى أجل قد غيب عنكم علمه، فإن استطعتم أن لا يمضي هذا الأجل إلا وأنتم في عمل صالح فافعلوا".**

أيها الغافل- ونفسي أعني:راجع نفسك على أي شيء تطوي صحائف هذا العام، فلعله لم يبق من عمرك إلا أيام أو سويعات، فاستدرك ما فاتك فيما بقي من عمرك، وإن كنت أضعت أوله فلا تخسر آخره، لأنك ولا بد راحل، كما أن إقامتك في هذه الدنيا محدودة، وأيامك معدودة، وأعمالك مشهودة.

قال الحسن البصري رحمه الله: "ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي يا ابن آدم: أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود مني فإنني إذا مضَيتُ لا أعود إلى يوم القيامة"(7).

ألم تتأمل يا غافلاً في الوجود وما فيه من حكم! ألم تر إلى الشمس وسرعة انتقالها من منزل إلى منزل، ففي ذلك إيحاء لك وتنبيه لغفلتك أنك ستنتقل من حال إلى حال، ومن دار إلى دار!! ألا فاتعظ! ألا فارجع قبل أن يأتي يوم فتقول:﴿رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت﴾ فيقال لك ﴿كلا﴾ إلى أين المفر يومئذ؟ إلى سقر، وما أدراك ما سقر، لا تبقي ولا تذر، لواحة للبشر، عليها تسعة عشر.

فعلى كل واحد منا أن يقف برهة من الزمن محاسبا نفسه، ماذا عمل في العام المنقضي؟ وماذا هو فاعل في السنة التي يستقبل؟ أي خدمة قدم للإسلام؟، ماذا أسدى من خير لإخوانه المسلمين؟، هل بلَّغ الإسلام لمن يجهله بما يستطيع من العلم والحكمة؟، هل أمر بالمعروف وهل نهى عن المنكر؟، هل أحسن للجائعين واليتامى والمحرومين إطعاما وتربية وتعليما؟، هل كشف الضر عن المتضررين؟، هل تضامن معهم ولو قلبيا؟ فإذا فعلنا ذلك وقفنا على حقيقة أنفسنا وسارعنا إلى الخيرات وأعرضنا عن المهلكات.

1- رواه الحاكم والبيهقي عن ابن عباس
2- مُوقعا في الفند، والفند كلام المخرَّف
3 - رواه الترمذي عن أنس وقال حديث حسن
4- رواه أحمد والترمذي والحاكم عن شداد بن أوس
5- عطف جمع أعطاف: جانب الشيء
6- رواه البيهقي عن عبد الله بن عمرو بن العاص
7- الوقت في حياة المسلم للقرضاوي ص 12

مجرد رأي

حملة انتخابية...

بالأمس زار قريتنا
زعيم حزب معروف
صعد المنصة على أنغام
الطبول والدفوف
وبعد خُطبة عصماء
قال : أيها الأصدقاء
فلنصوت غداً
على الورقة الصفراء
لون المحبة والإخاء
ولون الدفء والوفاء
فاللون الأصفر
ياسادة، يا سامعين
مجده ربنا الجليل
في محكم التنزيل
فاقرؤوا إن شئتم
قوله المبين
﴿بقرة صفراء فاقع لونها
تسرّ الناظرين﴾
وآخر دعوانا
أن الحمد لله رب العالمين

● **ملحوظة :** القصة وقعت فعلا إبان إحدى الحملات الانتخابية لما كان التصويت بالألوان...

ذ. عبد القادر لوكيلي

سلسلة منازل الإيمان

الخوف والرجاء من منازل محبة الله عزوجل 3

أبواب العباد إلى رب العباد

فريد الأنصاري رحمه الله تعالى

في الحلقتين السابقتين تحدث الشيخ عن مفهوم الخوف و الرجاء وعلاقتهما بالمحبة وبيّن أن الطمع فيما عند الله ليس منقصة بل هو محمدة وجمال، وفي هذه الحلقة يبيّن أن أسماء الله الحسنى هي أبواب العباد إلى رب العباد.

1- بالخضوع والخشوع تطرق أبواب الله عزوجل:

أسماء الله عز وجل الحسنى هي أبواب العباد إلى رب العباد، يعني أن الإنسان إذا أراد أن يعبد الله عز وجل ويذوق حلاوة الإيمان عليه أن يطرق باب الله من خلال هذه الأسماء الحسنى، ويتحقق ذلك بالخضوع والخشوع وبجملة الدعاء ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾(الأعراف: 180) هذا المقصود، ﴿فادعوه بها﴾، حينما تمرض تسأل الشافي وتستريح، حينما تُفقَر تسأل الغني وتستريح، حينما تجوع تسأل الرزاق ذي القوة المتين وتستريح، ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ فيرزقك، حينما تخاف تسأل القهار الجبار فيحميك، كل أسماء الله الحسنى تَبعَثُ الأمن والسلام والطمأنينة في قلوب الناس ممن يطرقون باب الله متعبِّدين خاشعين خاضعين موحدين لا مُبدِّلين ولا مُغيِّرين، الإنسان المؤمن الذي يريد أن يتعرف على الجمال الإلهي عليه أن يُطالِع ذلك الجمال ويُشاهده، «أن تعبد الله كأنك تراه»، ويشاهده تلك المشاهدة الوجدانية القلبية، وإنما تُشاهده بمشاهدة أسمائه الحسنى وصفاته العلا سبحانه عز وجل وعلا، أسماء الله وقد أشرت قبل إلى أن جمالها لا ينقطع، أوليست أسماء الله؟ جمال أسماء الله الحسنى لا حدّ له، ولذلك سمّاها عز وجل "الحسنى" بالإطلاق بلا تقييد ولا حصر فهي حسنى، مُمتدَّة الحسن امتداد الغيب نفسه، فهذه الأسماء إذن حينما نشاهدها نشاهدها في عبادتنا لله عز وجل حتى ولو كانت أسماء تدل على الجبروت وعلى الكبرياء وقد ذكرت هذا وأفصله الآن بحول الله عز وجل، يمكن للإنسان أن يفهم بسهولة كيف أن الرحمن من أسماء الله الحسنى لأنه من الرحمة، والرحمة تعجبنا، الحسنى فهو اسم حسن، بل أحسن، والرحيم أيضا، والغفور والودود من الوُدّ وخالص المحبة، المحبة الصافية مائة في المائة هي ما تسمى بالود، فالله عز وجل إذا أَحَبَّ عبدا ودَّه، والمودَّة قمة الحب، الحب الصافي الحق هو المودة، و الله عز وجل هو الودود سبحانه وتعالى،

2- قياس فاسد :

هذه أسماء يسهل على الإنسان أن يفهم جمالها وحسنها، وأحيانا قد يرتبك بعض الناس في فهم جمال اسم الله عز وجل "القهار" "الجبار" "المتكبر" لأننا نقيس أسماء الله على أسماء بني آدم، وهذا غلط، لأن رحمة الله لا تقارن برحمة بني آدم، ولا سماحة الله بسماحة بني آدم، وعندما نقارن بهذا المعنى سوف نخطأ في فهم اسم الله "الجبار" "القهار"، لأنه عندما تقارن مثلا اسم الله "المتكبر" بصفة الإنسان المتكبر، والكبرياء والتكبر في الإنسان صفة مذمومة، ولكن الله عز وجل هو المتكبر، ولكن مع ذلك هذا الاسم "المتكبر" يدخل ضمن أسماء الله الحسنى، الكبرياء في ذات الله، قمة الجمال، أذكر من بين أنوار ذلك الجمال، واحدة فقط مما لا حصر له من أنوار الجمال لهذا الاسم الجميل "المتكبر" أن الله عز وجل لما جعل الكبرياء صفة له وحده دون سواه، لأن الله عز وجل منع من أن يتكبر الناس في الأرض، "**العز إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني شيئا منهما قصمته**"، العز والكبرياء والتكبر صفات الله عز وجل وحده، ما معنى هذا الكلام؟ من معانيه أنك إذا وجدت عبدا مُتكبِّراً فاعلم أنه كذاب، لا يستطيع ذلك، لأن كل العباد ضعاف، ومن الحق الذي ذكره أهل التصوف الأوائل ويُنسَبُ إلى رابعة العدوية وهَذه المرة نقُولُ الحق في حقها كما نبهنا على بعض الباطل مما نُسب إليها "**وكل الذي فوق التراب تراب**" هذا الكلام نُسب إلى رابعة العدوية وهو كلام مليح وجميل أيضا، وكل الذي فوق التراب تراب، فإذن إذا كان هذا الإنسان المتكبر مجرد قطعة من تراب، إذا سكب عليها الماء تذوب، ومَاء الإنسان هو الموت، يوم يأتيه الموت ينهار ويذوب، فمن أي شيء ولأي شيء يتكبر عبد على عباد؟ وأنت إنما أنت عبدٌ مع عباد، "**لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى**"، والتَّقِيُّ لا يتكبر، و"**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**"، التقي لا يتكبر، فإذا تكبر أحد النَاس فاعلم أنه يعاني من نقص في شخصيته، يعاني من مرض نفسي، ناشئ من ضعف أحسه، فيبدل ذلك الضعف بالتكبر، وهو مسكين يستحق الشفقة، ولذلك لا يكون التكبر البشري إلا شكلا كرطونيا كما يقولون، كالنمر من ورق، فالمتكبر من البشر كذاب، من أين عرفنا هذا؟ عرفناه من شيء واحد وهو أن الله تَسَمَّى بالمتكبر، ومادام أنه سبحانه جعل هذه الصفة له وحده فأنت تعرف أن أي متكبر على وجه الأرض كذاب، مريض، يستحق أن يتصدق عليه بنوع من العلاج النفسي وتكون أنت في حالة نفسية أحسن من ذلك المتكبر بكثير، تُشفق عليه وتفكر كيف يمكن أن يُعالِج هذا الشخص نفسه، أو أن تعالجه بكلمة طيبة، أو موعظة، أو شيء من هذا القبيل، لأنك تعلم حقيقة أن هذه الصفة التي أراد أن يتحايل عليك بها ويتصف بها إنما هي صفة رب الكون وهذا عبد من العباد ضعيف، ضعيف، جد ضعيف، فكيف يتكبر عبدٌ؟ لا كبرياء لأي عبد، وإنما الكبرياء لله الواحد القهار، فثبت بهذا أن اسم الله "المتكبر" جميل وحسن وأحسن ومن الأسماء الحسنى، لأن به استقر السلام والأمن في قلبك، بهذا الاسم "المتكبر" يرتاح قلبك ، وكذلك "الجبار"، لو تجبر شخص، فرعون أو طاغوت، أو أي من الناس في الأرض، ظالم، له مال و له جاه أو كيفما كان، تُدرك أنه هو أيضا مريض يحتاج إلى علاج، وكذلك كان فرعون أجبن الناس، لأنه في صراعه مع موسى عليه السلام إنما كان يُخفي في شخصيته المتهالكة المضطربة جُبنا وضَعفاً وخوفا على ذاته وألوهيته التي زعمها على الناس؛ لأنه قال للناس: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الاعْلَى﴾(النازعات: 24)، وهو يعلم أنه ضعيف، و يعلم أنه يأكل الطعام، وما يتبع الطعام من ضرورات الاستخلاء البشري، فهذا الكبرياء وهذا الطغيان الذي كان لدى فرعون إنما كان يُعبِّرُ عن جُبن وعن ضعف، وكما يقولون بالدارجة: "طوبة الخواف"، أي: حجر الخواف يكون كبيرا، ولذلك الطغيان هو حجر أو طُوب في يد الخائف،

كل أسماء الله الحسنى تَبعَثُ الأمن والسلام والطمأنينة في قلوب الناس ممن يطرقون باب الله متعبِّدين خاشعين خاضعين موحدين لا مُبدِّلين ولا مُغيِّرين، الإنسان المؤمن الذي يريد أن يتعرف على الجمال الإلهي عليه أن يُطالِع ذلك الجمال ويُشاهده، «أن تعبد الله كأنك تراه»، ويشاهده تلك المشاهدة الوجدانية القلبية، وإنما تُشاهده بمشاهدة أسمائه الحسنى وصفاته العلا سبحانه عز وجل وعلا

3- متى تجد الأمن والسلام في قلبك؟ :

أما الأمن حقا، المستوي حقا لا يتجبر، لأنه يعلم أن الجبروت صفة لله وحده ويرتاح، وتعلم بعد ذلك أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، و ما أصابك لم يكن ليُخطئك، وأن هذا العبد الذي قد يعتدي عليك أو يظلمك لا يصلك إلا بما قدَّر الله عليك أو لك، وحديث الغلام أو الغليم الذي يُعتبر أصلا من أصول الدين في معناه وهو ثابت بنصوص القرآن الكريم، يُريح الإنسان، لأن الإنسان حينما يَرْسُخُ مثل هذا المعنى في قلبه يجد في قلبه الأمن والسلام، حديث يا غلام الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما، وكان ابن عباس طفلا صغيرا أردفه النبي ﷺ خلفه فقال له: «يا غلام يا غليم -للتحبيب والتقريب- إني معلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده اتجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء ما نفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف»، ويجد الإنسان بعد ذلك راحة وطمأنينة لا يجدها إلا المؤمن حقا، **وإنما يحتاج إلى إبراز عضلاته وقوته وجبروته من فَقَدَ الأمن وفقد السلام في قلبه وفقد الإحساس بكل هذه المعاني الجميلة التي يعطيها لك القرآن وتعطيها لك السنة النبوية ثرًا متدفقا كجمال الماء البارد في صيف حار شديد الحرارة، فالمؤمن إذن يستقي هذا الجمال ويرتاح لهذا النور من جبروت الله**، من أين تأخذ هذه المعاني؟ من جبروت الله، من كون الله جباراً، ومن كون الله قهارا، ولذلك من خير الأسماء أن تُعبِّدَ ابنك؛ تسميه عبد، ومن ذلك عبد الجبار، **لأن من كان عبدا للجبار أمن من جبروت الناس، ومن كان عبداً للقهار أمن من قهر الناس، ومن كان عبدا للرزاق أمن من تفضل الناس، لأنه يوقن بأن رزقه من عند الله عز وجل، وكل مؤمن هو عبد لله بكل هذه الأسماء وبكل هذه الصفات، فأن يتسمى الإنسان باسم من أسماء الله الحسنى على سبيل التعبد، فقد استفاد من جميع تلك الأنوار**، لأن أسماء الله الحسنى وصفاته العلا متعلقة بذاته سبحانه وتعالى، كما قرره أهل العقائد في السنن الصحيحة بلا تعطيل ولا تأويل كما قيل وكما نقول أيضا، والمقصود من العبرة، أن الغاية بالمعاني والآثار التربوية لهذه العقيدة والجميلة فعلاً التي تحتاج إلى فهم ذوقي يجعل المؤمن يَستَمْطِرُ ويستعذب ذلك الجمال الذي تعطيه هذه الأسماء والصفات الإلهية للإنسان، قلت، أسماء الله الحسنى لا تتجزأ، سبحان الله عز وجل، فذاته واحدة، هي أسماء متعددة لإله واحد، فإذا عبدت الرحمن استفدت من نور الجبار والقهار والرزاق وكل الأسماء، فمن أي باب طرقت وجدت الخير كله عند الله عز وجل، من هنا إذن كان المؤمن الذي يريد أن يذوق من معاني المحبة يطرق باب التوحيد في أسماء الله الحسنى بحثاً عن جمال هذه الأسماء، عِشْ مع الله عز وجل من خلال أنوار أسمائه سبحانه وتعالى، من خلال جمال صفاته سبحانه وتعالى، كن في ذلك عبداً له في كل ذلك، اعبده بصفته الرحمن، اعبده بصفته الرحيم، اعبده بصفته الملك، اعبده بصفته القدوس، اعبده بصفته السلام، اعبده بصفته المؤمن، بصفته المهيمن، بكل صفاته وأسمائه تذوق ذلك في قلبك، اجعل نفسك تسلك إلى الله عز وجل عبر كل هذه الأنوار فإنها أنوار متعددة تقود إلى رب واحد، واحد أحد لا شريك له سبحانه وتعالى، وتجد بعد ذلك في قلبك طمأنينة من كل جانب، من جانب المرض، من جانب الخوف، من جانب الرزق، في كل أمور الدنيا والآخرة تجد القلب مطمئنا، وتُحِسُّ حينئذ بالجمال، وتحس حينئذ بالسَلام، وتحس حينئذ بالمحبة.

(*) منزلة الخوف و الرجاء من حلقات منازل الإيمان التي ألقيت بمسجد الجامع الأعظم بمكناس وهي مادة مسجلة على شريط سمعي .

أعدها للنشر : عبد الحميد الرازي

اللباس يصنع التاريخ

﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يومنون﴾(آل عمرن:26)

بين القماط والكفن

د. حسن الأمراني

اللباس هو الأصل

الستر فطرة، والعري انحراف عن الفطرة.

اللباس هو الأصل، والتجرد عرض طارئ.

الستر نعمة، والعري عذاب.اللباس حضارة، والتكشف انحطاط.

كان علماء الأنثروبولوجيا إلى عهد قريب يصنفون الشعوب إلى شعوب متحضرة وشعوب متوحشة، وكانوا يجعلون اللباس مقياساً...الشعوب المتوحشة لا تتورع عن العري، وتعتبره أمراً طبيعيا، لأنها لم ترتق السلم الحضاري الذي يجعلها تدرك ما في اللباس من مظاهر التحضر...

ليس التحضر في اللباس فقط، بل هو في التفنن في اللباس أيضا...اللباس ذو وظيفة مزدوجة: وظيفة نفعية، وهي التستر، ووظيفة جمالية فنية، وهي التزيّن...وقد ذهب كارلايل إلى «أن أول من بعث الإنسان على ارتداء الملابس لم يكن طلب الدفء أو داعي الحياء، وإنما حبّ الزينة»(1).

وعلل ذلك بأن الإنسان «إذا احتاج إلى الدفء وجد منه ما شاء، إما في جهاد الطرد والعناء أو بين الأوراق الجافة في حجريته الجوفاء، أو في حظيرته المتخذة من اللحاء، أو مغارته الطبيعية الملساء، ولكن لأجل الزينة والزخرف لا سبيل إلا الملبس»(2).

وهو يذهب إلى أبعد من ذلك، إذ يرى «أن مصالح الإنسان في هذه الحياة الدنيا مترابطة الأجزاء، متماسكة العرى، بفضل شيء واحد هو الملابسُ؛ لقد «بني المجتمع على الملابس»(3).

عوداً على بدء نقول: إن الملابس ظاهرة إنسانية، بل ظاهرة كونية.

كل ما خلق الله عز وجل له لباس بالفطرة. انظر إلى الأشجار وكيف يغطيها لحاؤها، فتتستر به، وتتزين به، وقد يحتاج الإنسان إلى ذلك اللحاء فينزعه عن الأشجار، كأشجار الفلين مثلا، ولكنها ما تلبث أن تسترجع لباسها...

والأرض إذا أصابها الغيث اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، فكان ذلك النبات لباسا لها، وصارت تسر الناظرين. فإذا زال عنها لباسها، إما بفعل طبيعي وإما بتدخل بشري، صارت جرداء متوحشة تبعث في النفس الوحشة والكآبة...

وما خلق الله من حيوانات، كلها مستورة، بأصوافها وأشعارها وأوبارها، ويستر الريش أجساد الطيور، وهكذا شأن كل ما خلق الله عز وجل...

القماط والكفن

ستقول: وما شأن الإنسان؟ ألم يخلق الإنسان عاريا؟

كلا، الستر هو الصفة الملازمة للإنسان، منذ الخليقة الأولى حتى يوم الحساب....

أليس يولد الإنسان فيستقبله القماط؟

أليس يموت الإنسان فيودع هذه الدنيا، ويكون لباسه إلى الدار الآخرة الكفن؟

وكيف كان الإنسان في الأزل؟

ألم يكن مكرماً مستوراً حتى أغواه الشيطان فزلّ فغوى؟

وما مآل الإنسان؟ أليس إلى الجنة أو إلى النار؟ أو يكون عاريا هناك؟

كلا، إنه إن صار إلى الجنة، كان له من اللباس ما يناسب أهل النعيم: ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير﴾(الحج : 23، فاطر : 33)، ﴿عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة﴾(الإنسان :21).

وإن صار إلى النار، كان له من اللباس ما يناسب أهل الجحيم: ﴿سرابيلهم من قطران وتغشى وجوهم النار﴾(إبراهيم:50)، ﴿فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار﴾(الحج:19).

اللباس، إذن هو الأصل، والعري عرض طارئ.

1- مرجع سابق:36. 2- نفسه 3- نفسه:43

العلم والإيمان سبيلا سعادة الإنسان.... (خاتمة)

الله تعالى- من تحصيل العلم والمعرفة هو معرفة الله سبحانه وتعالى والسعادة برضاه، ومعرفة الله تعالى تتحقق من خلال براهين عدة، عدد كثيرا منها في رسائله ومؤلفاته، فالقرآن الكريم يستخدم الموجودات لخالقها لا لأنفسها، فضلا عن أنه يخاطب الجمهور، أما علم الحكمة والفلسفة فينظر كل منهما إلى الموجودات لنفسها، ويخاطب أهل العلم.

---

1 - الكرامة الإنسانية وأثرها في البناء الحضاري، ص56، مجلة الوعي الإسلامي عدد 53، يناير 2010. // 2 - الخطبة الشامية، ص 41. // 3 - المصدر نفسه.
4 - مبادئ الإسلام للمودودي، ص89-84. // 5 - مبادئ الإسلام، 89.
6- الخطبة الشامية، ص41-39. // 7- مبادئ الإسلام، ص 18-17.
8 - الخطبة الشامية، ص29. // 9- الخطبة الشامية، ص28.
10 - مطارحات في المعرفة الإيمانية عند النورسي لأديب إبراهيم الدباغ، مركز الكتاب للنشر، 1997م، ص41.

خروق في سفينة المجتمع 2

المرأة وسفينة المجتمع: حذار من الفتنة

د. عبد المجيد بنمسعود

تسلم سفينة المجتمع بانضباط كل عضو من أعضائها مع قوانين السلامة التي وجدت لحمايتها من الغوائل والأخطار، ويتضافر في نسيج هذه القوانين، ما هو نفسي متعلق بالوازع الداخلي لدى الأفراد، والذي هو رهين بما يحملونه من تصورات، ويعتقدونه من معتقدات، وهو الأصل وقاعدة الارتكاز، وما هو خارجي يتعلق بالرادع السلطوي الذي يمارس عملية الرقابة، لإيقاف أي تحرك كبير أو صغير، من شأنه أن يتسبب في إحداث خلل ما، في مفاصل السفينة، مما قد يودي بها في لحظة حرجة من لحظات إبحارها، بسبب تفاقم الخروق التي تنفذ المياه منها إليها.

والمرأة، بلا جدال، إلى جانب الرجل، تحتل مركز الثقل في تقرير مصير سفينة المجتمع ورسم خريطة محطاتها، وأسلوب التعامل مع المواقف والتيارات التي تعتلج في خضمه، وهي بهذا الاعتبار، إما أن تكون لها عامل أمن وأمان، وإما أن تكون معول خرق وافتتان. **ولا نذيع سرا إذا قلنا إن المجتمع المسلم الراهن، إذا راهن في ترميم ذاته واستعادة مجده الحضاري على تحرير المرأة بالمفهوم الإسلامي للتحرير، يكون قد أتى البيوت من أبوابها،** وهذا ما عبر عنه بجلاء أحمد شوقي رحمه الله في قوله:

والأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعبا طيب الأعراق.

وبمفهوم المخالفة يمكن أن نقول:

والأم مدرسة إذا أهملتها
ضيعت شعبا طيب الأعراق.

والذي يجري في مجتمعنا للأسف الشديد، هو عملية تضييع سافرة للأمة، من خلال تضييع المرأة بنتا وزوجا وأما، وذلك بتدجينها وتغييب وعيها وفصلها عن مواريثها الأصيلة، وفك ارتباطها بمنظومة القيم المستمدة من كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وصولا إلى شل قواها العقلية والأخلاقية، وتحويلها إلى مجرد سلاح للغواية والفتنة، كل ذلك بطرق منهجية بالغة المكر والدهاء، بالليل والنهار.

ولدفع تهمة الإفساد عن أنفسهم، فإن الذين يستهدفون كيان المرأة بالهدم والتخريب، يمارسون إفسادهم تحت لافتات الإصلاح والتحرير، والحداثة والتنوير، ظنا منهم أن ذلك كفيل بتمرير مخططاتهم في هدوء، تحت طائلة البهارج الخادعة. وما أكثر الضحايا الذين سقطوا صرعى فعلا لتلك المخططات، فكانوا وبالا على المجتمع، وألغاما منصوبة في ممراته وشعابه، وسموما ناقعة تشل أعصابه، وتنقصه من أطرافه.

وحتى توتي المخططات ثمارها المرة، فإنها تجمع بين الشق التصوري النظري المتمثل في تغيير الجهاز المفاهيمي المتحكم في منهج التفكير، وبين الشق التطبيقي الذي تجسده النماذج السلوكية المعروضة عبر قنوات الإعلام المتنوعة، سمعية ومرئية وشابكية.

فالشق الأول يهدف إلى إحلال مفهوم التنازع والصراع بين المرأة والرجل، محل مفهوم التطاوع والوئام، وإحلال مفهوم التمرد والعصيان محل مفهوم الطاعة والاحترام، وإحلال مفهوم الجحود والنكران، محل مفهوم الامتنان والعرفان، ومفهوم المساواة بمعنى التطابق والتماثل، محل مفهومها في إطار التمايز والتكامل، وقس على ذلك سائر المفاهيم.

أما الشق الثاني، فيهدف إلى إجراء عملية قصف رهيبة للعواطف والمشاعر، عن طريق الوسائل المذكورة آنفا، بتهييج الغرائز "وأزها أزا"، يقوي شحناته ما تحفل به البيئة الاجتماعية من مظاهر التحلل والميوعة والانحراف، وما توفره من وسائل الإغواء والإغراء، التي تجد تربتها الخصبة في انهدام الحواجز كليا بين الرجال والنساء، وإطلاق العنان لحركة التفلت من مقتضى الشرع، حتى لتصبح مع مرور الأيام معتادة مألوفة، ويصبح من يعاكسها ويثرب عليها في حكم الغريب المعاكس لتيار الحداثة وحركة التطوير، بل إنه ليوصم بخرق حقوق الإنسان، كما هي في عرف الغربيين، مما يراد للشعوب المسلمة أن تدين به بديلا عن ميثاق حقوق الإنسان كما جاء به الشرع الحكيم.

ومن المفارقات العجيبة أن تيار الحداثة الذي يسعى إلى الأخذ بزمام الأمور، واحتلال غرفة القيادة في سفينة المجتمع، ليقودها إلى المجهول، لم يعد يكتفي بتعزيز جانب التصورات بجانب التطبيقات، بالمفهوم الذي سبق إيراده، بل إنه تجاوز ذلك إلى خطوة أخرى" متقدمة"، هي خطوة التدريب التي تنقل الصور والتصورات، إلى ممارسة المهارات، وتلك ذروة المكر الذي يراد به إحداث نقلة واسعة نحو المجتمع الحداثي المنشود، كما يتخيله المنبتون عن الجذور.

وكنموذج لهذه الرؤية التي تسير في هذا الاتجاه الرهيب، يبرز البرنامج المسمى" مدام مسافرة" كصيغة من الصيغ الشيطانية التي تفتقت عنها مخابر الفكر الحداثي التي لا تفتر في جهودها ومساعيها في اتجاه سلخ المجتمع المغربي، ليس عن جلده، بل وعن جوهره ومعناه.

وتتمثل فكرة هذا البرنامج، وهي فكرة مستوردة طبقت في بلدان كثيرة، في إخراج عشر نسوة متزوجات من أوكارهن برضى بعولتهن، وتسفيرهن إلى مدينة مراكش، تاركين مهمة تسيير البيوت وتعهد الأطفال لهؤلاء البعول المساكين لمدة ثمانية أيام. إنها طبخة حداثية بامتياز، يراد بها إرساء سنة سيئة يحمل وزرها كل من يساهم في تفكيك الأسر وتقطيع أواصرها، والاعتداء على الميثاق الغليظ الذي يربطها، وزرع البلبلة والاضطراب في زواياها وأحشائها، وصولا إلى تمزيقها وجعلها أثرا بعد عين.

إن من بين أهداف هذا البرنامج الأساسية، إقبار قيمة الغيرة بين الأزواج، وجعلها تتلاشى مع دخان السفر، وإعداد الأطفال الأبرياء، الذين تنفتح نفوسهم الغضة البريئة على هذه التجربة المسمومة الملغومة، لمستقبل مظلم وممارسات شاذة. إنها عملية خرق سافرة لسفينة المجتمع، من خلال تحويل المرأة إلى معول خطير، وتحويل الفتيات الصغيرات اللائي يمارس عليهن هذا القهر، من خلال البرنامج الأخرق، إلى مشاريع نساء متمردات متفلتات. إنها عملية اغتيال سافرة للفطرة، ومضادة لقيم الشرع التي تجعل من مؤسسة الأسرة مؤسسة محاطة بالقدسية والبهاء والجلال، ذات حرمة مرعية وحمى محروس، وكيانا تستكن فيه الأسرار، وتحفظ من العابثين والمتلصصين.

إن فتنة عمياء تصدر من هذا البرنامج وما سار على منواله، وتصيب بشررها قلاع سفينة المجتمع وأشرعتها، وتنذر بشر مستطير، فلابد لحماة سفينة المجتمع من استنقاذ المرأة بنتا وزوجة وأما من براثن من يبغونها عوجا، وعدم تركها عرضة لكل من يتخذها مطية للتخريب والفساد.

العلم والإيمان سبيلا سعادة الإنسان في فكر بديع الزمان 3/2

دة. لطيفة الوارتي

حاجة الإنسان إلى العلم ليزداد ثباتا وخضوعا :

شاء الله سبحانه وتعالى أن يكون الإنسان أعظم مخلوق وأسمى كائن، فميزه الله جل وعلا بالعقل والإرادة والعلم وأمر ملائكته بالسجود تحية وتكريما له، قال تعالى : ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾(الكهف : 50) ومن هنا أنشأ الله سبحانه وتعالى لهذا المخلوق البشري الحق في الكرامة والسموعلى بقية المخلوقات(1)، **يقول النورسي: " كما ثبت بالاستقراء التام وتحريات العلوم وأبحاثها أن الإنسان هو أكرم المخلوقات وأشرفها"**(2). فلما كانت علة التكريم الإلهي للإنسان عائدة إلى القدرة العقلية التي خلقها الله تعالى فيه» فإن الإنسان استخدم هذا العقل لتمييز الأشياء وملاحظة التغيرات، فعندما يولد الإنسان يكون جاهلا ضعيفا لا قوة له ولا علم، فيكتسب من بيئته ومما حوله، فيزداد علمه، وتنمو قوته ومداركه فيخوض بنفسه غمار التجربة فينطلق في طريق العلم باستخدام عقله الذي هو مركز الحكم، والتحليل، والتركيب، والجمع، والتفريق، واستنتاج القواعد العامة، والكليات، وقياس الأشياء والنظائر على بعضها، **وأكد النورسي أن الإنسان " يستطيع أن يكشف بعقله عن مراتب الأسباب الظاهرية في خلق الكائنات ونتائجها، ويعرف العلاقات بين العلل والأسباب المتسلسلة، ويستطيع أن يقلد بمهارته الجزئية الصنائع الإلهية والإيجاد الرباني المنتظم الحكيم، ويستطيع أن يدرك بعلمه الجزئي وبمهارته الجزئية إتقان الأفعال الإلهية، وذلك بجعل ما لديه من جزء اختياري ميزانا جزئيا ومقياسا مصغرا لدرك تلك الأفعال الإلهية الكلية والصفات الجليلة المطلقة"**(3)، فتتزاحم عليه أسئلة كبرى وتضغط بحثا عن الأجوبة:

ما تكوين هذا الكون المعقد المتشابك الذي يحيط بنا؟ ما طبيعة حركته؟ لماذا يتغير بدون توقف؟ هل له طريقة في التعامل؟ هل يقوم على الفوضى واللاسننية؟ أم له قوانين تنظم حركته؟ ما طبيعة هذه القوانين إن كانت موجودة؟ هل يمكن فهم الكون أم أن المعرفة مستحيلة؟ من أين جاء؟ وإن كان مبرمجا فما فحوى برنامجه؟ ما طبيعة الصيرورة التي تغلف حركته؟ لماذا كان الجمال مركزيا في الكون في كل شيء ومكررا ومعادا؟ هل يقوم الكون على العبثية واللامعنى؟ أم له معنى؟ هل هو مرشح للديمومة والأزلية أم أنه معرض للانهدام والفناء والانحلال والنهاية التي هي ضرورة منطقية لكل بداية؟ ما الحياة؟ لماذا اقترنت بالموت؟ لماذا تطمح النفس إلى الخلود والصحة والشباب؟

هذه الأسئلة وغيرها تمثل ضغطا ساحقا على العقل الذي لا يستطيع التملص من قبضتها للإجابة عليها.

فمهما كان عقل الإنسان ناضجا وحائزا على أعلى مرتبة في الكفاءة العلمية فإنه لا يستطيع أن يعرف حقيقة ما يحيط به من أشياء عظيمة كالجبال، والأنهار، والبهائم الضارية المخيفة، وعواصف الرياح، وسيول المياه، والزلازل، وما يعرض له كثير من مناظر صعق الرعد، واسوداد السحب القاتمة، ولمعان البرق، ونزول الأمطار الغزيرة...

فهذا الكون العظيم الذي يعجز العقل الإنساني عن تدبره وعن معرفة بدايته ونهايته والذي خُلق ولا يزال فيه من الخلق ما لا ياتي تحت الحصر، والذي يحدث فيه ويتجدد كل يوم من الحوادث والمخترعات ما يبهر العقل الإنساني، لايمكن أن يوجد وحده بل له إله حي لا يموت ولا يُحد، صمد لا يحتاج إلى غيره، قادر على كل شيء، غالب لا يُعصى له أمر، مالك لقوى غير محدودة يستمد منه كل شيء في هذا الكون أسباب حياته ورزقه، منزه عن المعايب والنقائص ولا قبل لأحد للتدخل في أموره(4).

ولا شك أن الطريق المعروف لاختبار عقل الإنسان وعلمه أن يُترك بدون هداية من فوقه، لكن الإنسان انحرف عن الطريق الصحيح وجعل لنفسه آلهة من الطبيعة، ولحب الله عز وجل لعباده ورحمته بهم بعث إليهم من أنفسهم رجالا، ووهب لهم علما صحيحا، بصفاته، وعلّمهم الطريق التي يمكن أن يقضي بها الإنسان حياته في الدنيا وفقا لمرضاة ربه، وكذلك أعطاهم العلم الصحيح بالحياة الآخرة، وأمرهم أن يبلغوا علمه للناس جميعا، فهؤلاء هم رسل الله وأنبياؤه، والطريق التي نالوا به هذا العلم من الله تعالى هو الوحي، والكتاب الذي فيه هذا العلم هو كتاب الله عز وجل أو كلامه.

هذا العلم هو الذي أرسل به الحق تعالى أنبياءه ورسله إلى عباده في كل قطر وزمان، فقد أوتيه آدم أولا، ثم أوتيه نوح وإبراهيم وموسى وغيرهم من الأنبياء، وجاء به في آخرهم محمد صلى الله عليه وسلم، وهو العلم الخالص الذي لا تشوبه شائبة من الجاهلية، **وما ابتلي الإنسان بكل صور الكفر والشرك وعبادة الأصنام إلا لإعراضه عن تعليم الأنبياء واعتماده على حواسه وعقله(5)**. فلا اختيار الآن لعقل الإنسان وكفاءته إلا من حيث إيمانه بالرسول أو كفرانه به، بعد النظر إلى حياته الطيبة وهدايته السامية، فمن كان مستعدا لمعرفة الحق واتباعه، صدق بالحسنى وآمن بمن جاء بهما، ونجح في اختباره، وأما من كذب بالحسنى واستغنى عمن جاء بها، فقد أضاع من نفسه أهلية معرفة الحق والصدق وقبولهما، وذلك ماجعله يخيب في اختباره وصده عن تلقي العلم الصحيح بالله وقانونه والحياة الآخرة، **يقول النورسي:"لقد ثبت بالبحث والتحري الدقيق والاستقراء والتجارب العديدة للعلوم..أن كل علم من العلوم المتعلقة بالكون يطلعنا بقواعده الكلية على أن في كل نوع وفي كل طائفة انتظاما وإبداعا بحيث لا يمكن للعقل أن يتصور أبدع وأكمل منه"(6)** فمثلا علم التشريح الذي يخص الطب، وعلم المنظومة الشمسية الذي يخص الفلك، وبقية العلوم التي تخص النباتات والحيوانات، كل منها تفيد بقواعدها الكلية وبحوثها المتعددة الانتظام المتقن للصانع الجليل في ذلك النوع وقدرته المبدعة وحكمته التامة، فتبين جميعها حقيقة الآية الكريمة ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه﴾(السجدة :7).

العقل وحدوده :

حدد النورسي للعقل مجال النظر والتدبر والتأمل والتفكر بناء على قدراته في تحصيل العلم أو عدمها، فهناك علمان:

● **علم الغيب** الذي حُرم الله على الإنسان البحث فيه أو الخوض في مجاله، لأنه فوق عقله البسيط وإدراكه المحدود، فالله عز وجل يريد إنقاذه من الضياع والتيه، فأخبره عن أشياء لا يمكنه الوصول إليها عن طريق الذكاء البشري كما في قوله تعالى : ﴿اقرأ باسمك ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم﴾(العلق :1)، فلا يمكنه أن يعرف شيئا عن الملائكة، والنار، والجنة، وذات الله عز وجل...بل لن يستطيع أن يعرف أمورا في نفسه هو كالروح مثلا. فالعلم الذي يأتيه من طريق الوحي والإخبار من الله تعالى هو العلم التام والسليم من الآفة والنقص والتوهم، وما أكثر الأمور الغيبية التي يؤمن بها حتى من لا يكاد يؤمن إلا بالمحسوسات، فضلا عن المؤمن بالغيب والشهادة قال الله تعالى : ﴿يسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي﴾(الإسراء :85) فالإنسان يؤمن بالحياة التي توجد في مخلوق، وعلامتها دخول الروح فيه، ولكن ما هي الروح؟ كيف تدخل في البدن؟ أين مقامها فيه؟ ما حجمها؟ ما وزنها؟ كيف تعيش؟

فهذا الأمر وغيره لا يدرك بحاسة من الحواس، ولكن يدرك بداهة وجود الروح في الأحياء من خلال الأعمال والآثار في هذا المخلوق الذي حلت فيه الروح. إن الروح غيب آمن بها كل عاقل، لأن الله تعالى أخبر بوجودها، ودلت الدلائل المختلفة على وجودها قال تعالى : ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور﴾(الملك : 2).

● **العلم المباح المطلوب المتعلق بالكون والإنسان** وهو الذي أُمر الإنسان بالبحث فيه واستخدام العقل، فهذا الكون بما فيه من السماوات العظيمة إلى الإنسان العجيب إلى النملة الضعيفة دلائل وآية وبراهين على وجود الخالق البارئ المصور سبحانه وتعالى(7) **يقول النورسي:"ثم إن أوائل الآيات القرآنية وخواتمها، تحيل الإنسان إلى العقل قائلة: راجع عقلك وفكرك أيها الإنسان وشاورهما، حتى يتبين لك صدق هذه الحقيقة، فانظروا مثلا إلى قوله تعالى ﴿فاعلموا.. فاعلم.. أفلا يعقلون.. أفلم ينظروا.. أفلا يتذكرون.. أفلا يتدبرون.. فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾ وأمثالها من الآيات التي تخاطب العقل البشري**، فهي تسأل: لم تتركون العلم وتختارون طريق الجهل؟ لم تعصبون عيونكم وتتعمون عن رؤية الحق؟ ما الذي حملكم على الجنون وأنتم عقلاء؟ أي شيء منعكم من التفكر والتدبر في أحداث الحياة؟ أفلا تعتبرون ولا تهتدون إلى الطريق المستقيم؟ لماذا لا تتأملون ولا تحكمون عقولكم لئلا تضلوا؟ ثم تقول أيها الناس انتبهوا واعتبروا وأنقذوا أنفسكم من بلايا تنزل بكم باتعاظكم من القرون الخوالي"(8).

فالله عز وجل أشار في القرآن الكريم إلى حقائق لا يمكن أن تكون خطأ، فهو عنده العلم الكامل عن الواقع فقد أشار إلى القمر، والشمس، والنجوم، والأرض، والمحيط، والحياة، وكل الأشياء الغامضة تتطلب تفكيرا عميقا جدا تشبع الحياة الروحية. فنور القرآن العظيم موجود في كل آية ما على الإنسان إلا أن يستمع إلى النصائح والتدبر في آيات القرآن ليتعرف على العلامات في الكون **يقول النورسي: "لقد تيقظ الإنسان في عصرنا هذا ، بفضل العلوم والفنون ونذر الحرب والأحداث المذهلة وشعر بقيمة جوهر الإنسانية واستعدادها الجامع، وأدرك أن الإنسان باستعداده الاجتماعي العجيب لم يخلق لقضاء هذه الحياة القصيرة، بل خلق للأبد والخلود، بدليل آماله الممتدة إلى الأبد"(9).**

أنواع العلوم وغاياتها :

وهذه المعرفة العلمية التي رسم النورسي ملامحها، وخط حدودها منبثقة من فهمه لقوله تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾(فصلت : 52) **فهو يرى في ضوء هذه الآية العظيمة أن ما من معرفة مما تتبادلها العقول فيما بينها إلا وترجع في أصولها الأولى إلى واحدة من المعارف الثلاث الآتية:**

1- معرفة كونية تشمل علوم ما في السماوات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى.

2- معرفة إنسانية تشمل الكينونة الإنسانية وكل ما يتعلق بالإنسان فردًا ونوعا ظاهرا وباطنا.

3- معرفة إلهية ترتبط بوجود الله تعالى وبربوبيته وشؤونه في خلقه.

وهذه المعارف الثلاث متلازمة يلازم بعضها بعضا، ويسند بعضها بعضا، ويدل بعضها على بعض، وهي في تعاشق دائم لا ينقطع، فليس ثمة معرفة متفردة ومستقلة ومنعزلة في هذا العالم(10).

لقد كان غرض النورسي -رحمه

تتمة ص :12

آيبون... تائبون!

ذة. نبيلة عزوزي

27- لا تغضب لا تغضب

أفاق من غيبوبته الطويلة في المستشفى... قيل له إنه تعرض لانهيار عصبي...

يكره أن يسرد على طبيبه ما حدث له...

وجد بجانب فراش ابنته حبوباً لمنع الحمل... قالت له بكل وقاحة إنها لها... لم يتحمل الصدمة، ضربها ضربا مبرّحاً... تدخلت الأم، فضربها هي الأخرى، ورمى عليها يمين الطلاق... وصار يُكفّر كل ما حوله... إلى أن أُغمي عليه!

صمدت زوجته وأبناؤه... ولزموا الصمت.

اشتدت أزمته الصحية يرفض رؤية أي أحد... والأدهى من ذلك، يرفض أي علاج... كاد يُجن، لم يتوقع لحظةً أن تربيته لابنته المراهقة ستذهب سدىً... ولم يتوقع أن تكون زوجته على علم بما تفعل بنتهما...

تدخل حكمان من أولي العلم والصلاح... ذُهل أكثر وهو يعرف الحقيقة... فلم تكن حبوب منع الحمل سوى علاج لابنته، وصفته لها الطبيبة، بسبب خلل هرموني يُؤثر على دورتها الشهرية...

طلب الصفح من ابنته، لأنه قذفها وظلمها...

عاد إلى أسرته... وصار يُوطّن نفسه على التريّث وتجنب الغضب، ويتمعّن في حديث الرسول ﷺ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال للنبي ﷺ : أوصني، قال : «لا تغضب، فردد مراراً، قال : لا تغضب»(رواه البخاري).

إعداد : الدكتور عبد الرحيم الرحموني

من البيان القرآني

كرم النبي إبراهيم عليه السلام وثناء الله تعالى عليه

قال ابن القيِّم، رحمه الله:

(وتأمَّل ثناءَ الله -سبحانه- عليه في إكرام ضيفه (من) الملائكة، حيثُ يقول سبحانه: ﴿هَلْ أتاكَ حَديثُ ضَيْف إبْرَاهيمَ المُكْرَمينَ إذْ دَخَلوا عليه فقالوا سَلامًا قالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنْكَرونَ فراغَ إلى أهله فجاءَ بعجْلٍ سَمينٍ فقرَّبَه إليهمْ قالَ ألا تأكُلونَ﴾(الذاريات:24- 27).

ففي هذا ثناءٌ علَى إبراهيم من وجوه متعدِّدة:

أحدها: أنَّه وَصَفَ ضيفَه بأنَّهم مكرَمون، وهذا -على أحد القولَيْن- أنَّه إكرام إبراهيم (عليه السلام لهم). والثَّاني: أنَّهم المكرَمون عند الله -سُبحانَه-. ولا تنافيَ بين القولين؛ فالآية تدلُّ على المعنيَيْن.

الثَّاني: قوله تعالى: إذْ دَخَلوا عَلَيْه،فلم يذكُر استئذانَهم؛ ففي هذا دليلٌ على أنَّه ﷺ كان قد عُرِفَ بإكرام الضِّيفان، واعتياد قراهم، فبقيَ مَنزلُه مضيفةً، مطروقًا لمن وَرَدَه، لا يحتاجُ إلى الاستئذان؛ بل استئذانُ الدَّاخلِ دخولُه، وهذا غايةُ ما يكون من الكَرَم.

الثَّالث: قوله: سَلامٌ بالرَّفع، وهم سَلَّموا عليه بالنَّصْب. والسَّلامُ بالرَّفع أكملُ؛ فإنَّه يدلُّ على الجملة الاسميَّة الدَّالَّة على الثُّبوت، (وعدم التجدُّد)، والمنصوبُ يدلُّ على الفعليَّة الدَّالَّة على الحدوث، والتَّجدُّد، فإبراهيمُ حيَّاهم بتحيَّة أحسن من تحيَّتهم؛ فإنَّ قولهم: سَلامًا (يدلُّ على: سلَّمنا سلامًا). وقوله: سَلامٌ؛ أي: سلامٌ عليكم.

الرَّابع: أنَّه حذفَ المبتدأ من قوله: قَوْمٌ مُنكَرونَ،فإنَّه لمَّا أنكرَهم، ولَمْ يعرفْهم؛ احتشمَ من مواجهتهم بلفظ ينفِّر الضَّيف لو قالَ: أنتم قومٌ منكَرونَ، فحذفُ المبتدإ هنا مِنْ ألطف الكلام.

الخَامس: أنَّه بنَى الفعلَ للمفعول، وحذفَ فاعلَه، فقال: مُنكَرُونَ،ولم يقلْ: إنِّي أُنكِرُكم، وهو أحسنُ في هذا المقام، وأبعدُ من التَّنفير، والمواجهة بالخُشونة.

السَّادس: أنه راغَ إلى أهلَه؛ ليحييهم بنُزُلهم، والرَّوَغانُ: هو الذَّهاب في اختفاء؛ بحيث لا يكاد يشعر به (الضَّيف)، وهذا من كرم ربِّ المنزل المضيف؛ أن يذهب في اختفاء؛ بحيث لا يشعر به الضَّيف، فيشقّ عليه، ويستحي، فلا يشعر به إلاَّ وقد جاءه بالطَّعام، بخلاف من يُسمع ضيفَه، ويقول له، أو لمَن حضر: مكانَكم حتَّى آتيكم بالطَّعام، ونحو ذلك ممَّا يُوجِب حياء الضَّيف، واحتشامه.

السَّابع: أنَّه ذهب إلى أهله، فجاء بالضِّيافة، فدلَّ على أنَّ ذلك كان مُعَدًّا عندهم، مُهَيَّأً للضِّيفان، ولَمْ يَحْتَجْ (أن يذهبَ) إلى غيرهم من جيرانه، أو غيرهم؛ فيشتريَه، أو يستقرضَه.

الثَّامن: قوله: فجَاءَ بعجْلٍ سَمينٍ دلَّ على خدمته للضَّيف بنفسه، ولَمْ يَقُلْ: فأمرَ لهم؛ بل هو الذي ذهب، وجاء به بنفسه، ولم يبعثْه مع خادمه، وهذا أبلغُ في إكرام الضَّيف.

التَّاسع: أنَّه جاء بعجْلٍ كاملٍ، ولم يأتِ ببعضٍ منه، وهذا من تمام كَرَمه ﷺ.

العاشر: أنَّه سَمينٌ لا هزيلٌ، ومعلومٌ أنَّ ذلك من أفخرِ أموالهم، ومثلُه يُتَّخَذُ للاقتناء، والتربية، فآثرَ به ضيفانَه. .

الحادي عشر: أنَّه (قرَّبه إليهم) بنفسه، ولَمْ يأمرْ خادمَه بذلك.

الثَّاني عشر: أنَّه قرَّبه إليهم، ولَمْ يُقرِّبْهم إليه، وهذا أبلغُ في الكرامة؛ أن تُجلس الضَّيف، ثم تُقرِّب الطَّعام إليه، وتحمله إلى حضرته، ولا تضع الطَّعام في ناحية، ثم تأمر ضيفَك بأن يتقرَّب إليه.

الثَّالث عشر: أنَّه قال: ألاَ تَأكُلُونَ، وهذا عرضٌ، وتلطُّفٌ في القَوْل، وهو أحسنُ من قوله: كُلوا، أو مُدُّوا أيديَكم، ونحوها، وهذا ممَّا يعلم النَّاس بعقولهم حسنَه، ولطفَه؛ ولهذا يقولون: باسم الله.

الرَّابع عشر: أنَّه إنَّما عَرَضَ عليهم الأَكلَ؛ لأنَّه رآهم لا يأكلون، ولَمْ يكن ضيوفه يحتاجون معه إلى الإذن في الأكل؛ بل كان إذا قُدِّم إليهم الطَّعام؛ أكَلوا، وهؤلاء الضُّيوفُ لمَّا امتنعوا من الأكل؛ قال لهم: ألا تأكلونَ؛ ولهذا: أَوْجسَ منهم خيفةً؛ أي: أحسَّها، وأضمرَها في نفسه، ولَمْ يُبْدِها لهم، وهو الوجه

الخامس عشر: فإنَّهم لمَّا امتنعوا من الأكل لطعامه؛ خافَ منهم، ولَمْ يُظهر لهم، فلمَّا علمت الملائكةُ منه ذلك؛ قالوا: لا تَخَفْ! وبشَّروه بالغُلام.

فقد جمعت هذه الآيةُ آدابَ الضِّيافة الَّتي هي أشرف الآداب، وما عداها من التَّكلُّفات التي هي تخَلُّف، وتكلُّف؛ إنَّما هي من أوضاع النَّاس، وعوائدهم، وكفَى بهذه الآداب شرفًا، وفخرًا، فصلَّى الله علَى نبيِّنا، وعلَى إبراهيمَ، وعلى آلهما، وعلَى سائر النبيِّين .

● جلاء الأفهام لابن قيم الجوزية

من البلاغة النبوية

خطبة الرسول ﷺ في الأنصار، بعد ما وجدوا عليه

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن أبي سعيد الخدري، قال لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا في قريش وفي قبائل العرب ولم يكن في الأنصار منها شيء، وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم (وَجَد عليه: غضب.) حتى كثرت منهم القالة، حتى قال قائلهم لقي والله رسول الله ﷺ قومه. فدخل عليه سعد بن عبادة فقال: "يا رسول الله إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب، ولم يكن في هذا الحين من الأنصار منها شيء". فقال رسول الله ﷺ: "فأين أنت من ذلك يا سعد؟" فقال: "يا رسول الله ما أنا إلا من قومي". قال: "فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة". قال، فجاء رجال المهاجرين فتركهم فدخلوا، وجاء آخرون فردهم، فلما اجتمعوا له، أتى سعد رسولَ الله ﷺ فقال: "قد اجتمع لك وهذا الحي من الأنصار". فأتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: "يا معشر الأنصار! ما قالة بلغتني عنكم، وجدة وجدتموها علي في أنفسكم؟ ألم آتكم ضُلالاً فهداكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله؟ وأعداءً فألف الله بين قلوبكم؟" قالوا: "بلى! الله ورسوله أمَنُّ وأفضلُ". ثم قال رسول الله ﷺ: "ألا تجيبونني يا معشر الأنصار!". قالوا: "بماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ولرسوله المنّ والفضل"، قال: "أما والله لو شئتم لقلتم، فلَصدقتم، ولصُدِّقتم؛ أتيتنا مكذَّباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك، وعائلاً فآسيناك، أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لُعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم؟ أترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم، فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكتُ شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار ". قال فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: "رضينا برسول الله ﷺ قسماً وحظاً". ثم انصرف رسول الله ﷺ، وتفرقوا.

● عيون الأثر في المغازي والسير لابن سيد الناس

المتعبدون من الصحابة

عن جابر بن عبد الله الأنصاري، فيما يذكر من اجتهاد أصحاب النبي ﷺ في العبادة، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة... فلما كان رسول الله ﷺ في بعض الطريق، نزل في شعب من الشعاب، وقال: مَن رجلان يكلآننا في ليلتنا هذه من عدوِّنا؟ قال: فقال رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار: نحن نكلؤك يا رسول الله. قال: فخرجا إلى فَم الشعب دون العسكر.

ثم قال الأنصاري للمهاجري: أتكفيني أول الليل وأكفيك آخرَه أو تكفيني آخره وأكفيك أوّله؟ قال: فقال له المهاجري: بل اكفني أوّله وأكفيك آخره.

فنام المهاجريّ وقام الأنصاريّ يصلي. قال: فافتتح سورة من القرآن، فبينا هو فيها يقرؤها -جاء رجل من جهة العدو- فلما رأى الرجل قائماً عرف أنه ربيئةُ القوم، فينزع له بسهم فيضعه فيه. قال: فينتزعه فيضعه، وهو قائم يقرأ في السورة التي هو فيها ولم يتحرك كراهية أن يقطعها. (قال): ثم عاد له الرجل بسهم آخر فوضعه فيه. قال: فانتزعه فوضعه وهو قائم يصلّي في السورة التي هو فيها ولم يتحرك كراهية أن يقطعها. ثم عادَ له الرجل الثالثة بسهم فوضعه فيه. قال: فانتزعه فوضعه ثم ركع وسجد. ثم قال لصاحبه: اقعد فقد أُتيت. قال: فجلس المهاجري. فلما رآهما الرجل هرب وعرف أنه قد نُذِرَ به.

قال: وإذا الأنصاري يفوح دماً من رَميات الرجل. قال: فقال له أخوه المهاجري: يغفر الله لك ألا كنت آذنتني أوّلَ ما رماك؟ قال: كنت في سورة من القرآن قد افتتحتُها بها فكرهت أن أقطعها، وأيمُ الله لولا أني أضيّع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها.

● صفة الصفوة لابن الجوزي

من السيرة النبوية

أمر بدأ الوحي

أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني معمر بن راشد ومحمد بن عبد الله، عن الزهري، عن عروة عن عائشة قالت: كان أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. قالت فمكث على ذلك ما شاء الله، وحبب إليه الخلوة فلم يكن شيء أحب إليه منها، وكان يخلو بغار حراء، يتحنَّث فيه الليالي ذوات العدد، قبل أن يرجع إلى أهله، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء.

أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة عن داود بن الحصين، عن عكرمة عن بن عباس، قال: فبينا رسول الله ﷺ على ذلك وهو بأجياد، إذ رأى ملَكا واضعا إحدى رجليه على الأخرى في أفق السماء يصيح؛ يا محمد أنا جبريل، يا محمد أنا جبريل. فذعر رسول الله ﷺ من ذلك، وجعل يراه كلما رفع رأسه إلى السماء، فرجع سريعا إلى خديجة، فأخبرها خبره، وقال: يا خديجة، والله ما أبغضت بغض هذه الأصنام شيئا قط ولا الكهان، وإني لأخشى أن أكون كاهنا. قالت: كلا، يا ابن عم لا تقل ذلك، فإن الله لا يفعل ذلك بك أبدا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتؤدي الأمانة، وإن خلقك لكريم، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل -وهي أول مرة أتته- فأخبرته ما أخبرها به رسول الله ﷺ، فقال ورقة: والله إن بن عمك لصادق، وإن هذا لبدء نبوة، وإنه ليأتيه الناموس الأكبر، فمُريه أن لا يجعل في نفسه إلا خيرا.

أخبرنا عفان بن مسلم، أخبرنا حماد بن سلمة، عن هشام بن عروة، عن عروة، أن رسول الله ﷺ قال: يا خديجة إني أرى ضوءا وأسمع صوتا، لقد خشيت أن أكون كاهنا. فقالت: إن الله لا يفعل بك ذلك يا بن عبد الله، إنك تصدق الحديث، وتؤدي الأمانة، وتصل الرحم.

● الطبقات الكبرى لابن سعد

مكانة العربية من الإسلام

ابتداء أمر النَحْو ومن تكلم فيه

كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه قد رسم لأبي الأسود الدُؤلي حروفاً يعلمها الناس لما فسدت ألسنُتهم، فكان لا يحب أن يُظهر ذلك ضنًا به بعد علي رضي الله عنه. فلما كان زياد وجه إليه أن اعمل شيئاً تكون فيه إماما وينتفع به الناسُ، فقد كنت شرعت فيه لتصلح ألسنة الناس! فدافع بذلك، حتى سمع قارئا يقرأ: (أَنَّ الله بَريء منَ المشركينَ وَرَسُوله) - بالكسر - وسمع رجلا يقول: سقطت عصاتي. فقال: لا يحل لي بعد هذا أن أترك الناس. فجاء إلى زياد فقال: أنا أفعل ما أمر به الأمير، فاطلب لي كاتباً حصيفا ذكيا يعقل ما أقول. فأتي بكاتب من عبد القيس فلم يَرضه، فأتي بآخر من ثقيف، فقال له أبو الأسود: إذا رأيتَني قد فتحت فمي بحرف فانقط نقطة على أعلاه، وإذا ضَممتُ فمي فانقُط نُقطة بين يدي الحرف، وإذا كسرت فاجعل النُقطة تحت الحرف، فإذا أتبعتُ ذلك، فاجعل النَقطة نقطتين. ففعل. فهذا نقطُ أبي الأسود، وعمل الرفع والنصب والجر. واختلف الناس إليه يتعلمون العربية.

● نور القبس للمرزباني

وفي رواية أخرى، يقول ابن الأثير:

أول من تكلم في النحو أبو الأسود الدؤلي،وسببُ ذلك أنه دخل على ابنة له بالبصرة فقالت له: يا أبت ما أشدُّ الحر، متعجبة، ورفعت أشد، فظنها مستفهمة، فقال: شهر ناجر، فقالت: يا أبت إنما أخبرتك ولم أسألك. فأتى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال: يا أمير المؤمنين ذهبت لغة العرب، ويوشك إن تطاول عليها زمان أن تضمحل فقال له: وما ذاك؟ فأخبره خبر ابنته، فقال: هلم صحيفة، ثم أملى عليه "الكلام لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى". ثم رسم له رسوما فنقلها النحويون في كتبهم.

● المثل السائر لابن الأثير

تكامل المستويات اللسانية في تفسير ظواهر اللغة

المستوى الصرفي والمستوى الصوتي نموذجا

د. محمد الغريسي

تمهيد :

إذا تأملنا في الفكر اللغوي العربي القديم بعمق نلاحظ أنه كان يعتبر اللغة أو الخطاب اللغوي كلا لا يتجزأ في الاستعمال والتداول، وأن فهم وتحليل ظاهرة لغوية يستلزم في سياقات متنوعة فهم الظاهرة وتحليلها في أبعادها التركيبية والدلالية والتداولية من جهة والصرفية والصوتية من جهة ثانية، وبمعنى أخر إن تحليل ظاهرة من ظواهر اللغة العربية أو تفسيرها يستلزم الوقوف بالضرورة عند مستويات الدرس اللساني من صرف ونحو وتركيب ودلالة وتداوليات، سنبين في هذا المقال كيف تتكامل المستويات اللسانية وتتفاعل في تفسير ظواهر اللغة، وسنخصص الحديث عن التكامل الموجود بين المستوى الصرفي والمستوى الصوتي.

1- مستويات اللغة العربية اللسانية :

إذا كانت اللسانيات(1) في أبسط تعريفاتها هي الدراسة العلمية للغة، فإن تحليل لغة من اللغات لا يتم إلا بعد تحديد مستوياتها اللسانية ، ومن هذه المستويات ما يلي :

أ- المستوى الصوتي

المستوى الصوتي مستوى لساني ينظر إلى اللغة كبنية صواتية، إذ يعالج أصوات اللغة من حيث مخارجها وصفاتها...الخ، والتحليل اللساني للغة يبدأ بالأصوات باعتبارها العناصر الأولى التي تتشكل منها الكلمات، أو الوحدات الدالة، وهذا المجال يهتم به علم الأصوات أو علم الصواتة.

ب- المستوى الصرفي

بعد انتهاء المستوى الصوتي ينظر في بناء الكلمة من حيث الصيغة الصرفية واستحضار القواعد المسؤولة عن سلامة بناء الكلمة، وهذا المجال يهتم به علم الصرف أو ما يعرف بالمورفولوجيا.

ج- المستوى التركيبي

يحدد التركيب بكونه تلك الدراسة التي تتناول صيغ اللغة، أو أجزاء الخطاب تأليفا وتركيبا، والتركيب مستوى من مستويات التحليل اللسانية الحديثة، وهو فرع من فروع علم اللسانيات إلى جانب فروع أخرى منها الدلالة، الصواتة، المعجم، ومجاله الجملة تأليفا وتركيبا، إذ هو علم يهتم بدراسة العلاقات التركيبية داخل الجمل وبدون هذه العلاقات تصبح الكلمات مبعثرة بلا قيمة(2)..

د- المستوى الدلالي

يقصد بالمستوى الدلالي في إطار النظرية اللسانية العامة: دراسة معاني الكلمات والمركبات والجمل والتعابير، وحقولها وعلاقاتها الدلالية.

و- المستوى التداولي.

يتناول هذا المستوى اللساني مجال استعمال اللغة من قبل المتكلمين والمخاطبين، ودراسة جوانب هذا الاستعمال النفسية والاجتماعية والتواصلية والحضارية وما إلى ذلك في فضاء زمكاني محدد.

2- تكامل المستويات اللسانية في تحليل الظواهر اللغوية :

إذا تأملنا بدقة في التراث اللساني العربي القديم يتبين أن القدماء كانوا بالفعل يأخذون بعين الاعتبار تكامل المستويات اللسانية أثناء دراستهم لظواهر اللغة، ويظهر ذلك واضحا من خلال مؤلفاتهم، ومن ذلك كتاب سيبويه الذي كان يعتبر النحو مجالا واسعا لدراسة اللغة من كل جوانبها الصرفية والصوتية والدلالية والتداولية، فقد جمع هذا المؤلف قضايا لغوية مختلفة منها ما يتصل بالمستوى الصوتي كالحديث عن مخارج الأصوات وصفاتها، ومنها ما يتصل بالمستوى الصرفي كالتثنية والجمع ، ومنها ما يتصل بالمستوى التركيبي، وهذا المستوى الأخير كان الحديث فيه مسيطرا إلى درجة اعتبار الكتاب كله موضوعا له.

إن سيبويه إن تكلم، كما يرى ذلك الشاطبي(3)، في النحو، فقد نبه في كلامه على مقاصد العرب وأنحاء تصرفاتها في ألفاظها ومعانيها، ولم يقتصر فيه على بيان أن الفاعل مرفوع، وأن المفعول منصوب ونحو ذلك، بل تجاوز ذلك ، حتى إنه احتوى علم المعاني والبيان ووجوه الألفاظ والمعاني.

وقد عبر ابن جني عن التفاعل بين المستويات اللسانية من خلال تعريفه للنحو باعتباره دراسة اللغة من كل جوانبها، يقول محددا النحو ومبرزا وظيفته :

"هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع، والتحقير، والتكسير والإضافة والنسب، والتركيب وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل العربية بالعربية في الفصاحة"(4).

وبمعنى أدق لم يفت ابن جني الفهم التفاعلي بين المستويات اللسانية الواصفة للغة خاصة حين ينظر إلى الخطاب اللغوي العربي على أنه شبكة من الانتظاميات (التركيبية / الدلالية /المقامية)، تحكمها بعض الأهداف والغايات في صلب التداول اللساني، عندما تغدو اللغة "طبقة واحدة كالرقم تضعه على المرقوم، والميسم تباشر به صفحة الموسوم"(5).

3- مظاهر التكامل بين المستوى الصوتي والمستوى الصرفي :

إن الصرف من أكثر الميادين التصاقا بالأصوات، أو علم الأصوات إذ هناك علاقة وثيقة بين المستويين وهذا ما تنبهت إليه الدراسات الحديثة، التي لاحظت أن الصرف يعتمد على الجانب الصوتي، و أن دراسة الأصوات تعتبر القاعدة الأساسية للدراسات الصرفية.

يقول محمد السعران(6) مبرزا حاجة علم الصرف إلى علم الأصوات :

"إنه لكي نكتب صرفا للعربية على الأصول الحديثة ينبغي أن ندرس علم اللغة العام وبخاصة علم الأصوات"

وقد لاحظ عبد الصبور شاهين أيضا أن الصرف من بين الميادين الأكثر التصاقا بالأصوات ونظرياتها ونظمها، يقول في هذا السياق(7): "وإذا كان الأقدمون لم يعرفوا تشابك العلاقة بين الأصوات والنحو والصرف، فقد كانوا معذورين، ومع ذلك بذلوا غاية جهدهم في تقعيد أصول النحو والتركيب العربي"

إن الدراسات اللسانية الحديثة تميز بين ما هو صرفي صرف، وما هو صوتي صرف، أو تميز بين الصرافة والصواتة(8) دون أن تعدم وجود علاقة وثيقة بينهما، وبمعنى اخر إن الصرف العربي في حاجة إلى الحقائق التي يفرزها الدرس الصوتي، إذ في الصرف العربي قضايا كثيرة يمكن معالجتها على أساس صوتي، كالوقف، والإبدال، والإعلال.

وحتى نخرج من حيز التنظير وتوضيحا للعلاقة بين المستوى الصرفي والمستوى الصوتي ننطلق مما يلي:

أ- من قواعد الصرفيين القدماء أن التثنية والتصغير يردان الأشياء إلى أصولها.، فإذا أردنا أن نثني كلمة "عصا" قلنا عصوان، حيث يتبين أن الألف أصلها واو، ولا شك أن إعادة الألف إلى أصلها إجراء صوتي يشتمل على اختيار صوت بعينه لموقع بعينه، في إجراء بعينه

والشيء نفسه ينطبق على الهمزة في كلمة " سماء " وهي منقلبة عن واو، وقلب الواو همزة له اعتبارات صوتية.

ج- تناول الصرفيون القدماء ظواهر لغوية عديدة منها ظاهرة الممنوع من الصرف، وإذا تأملنا في هذه الظاهرة بدقة نلاحظ أن سبب نيابة الفتحة عن الكسرة في الممنوع من الصرف عملية تتحكم فيها اعتبارات صوتية ترتبط بالخفة والثقل، ذلك أن الممنوع من الصرف ثقيل، والكسرة أثقل الحركات، ومن ثم لا يمكن إلحاقها به لهذا الاعتبار الصوتي ،والحركة المؤهلة للقيام بهذه الوظيفة هي الفتحة باعتبارها أخف الحركات. وهذا يعني أن ظاهرة الممنوع من الصرف تجسد بشكل واضح العلاقة الوثيقة بين علم الصرف وعلم الأصوات.

وللاختصار نكتفي بما أشرنا اليه، إذ أن التراث اللغوي العربي القديم يزخر بالعديد من الظواهر اللغوية التي تستلزم تكامل المستوى الصرفي والمستوى الصوتي.

ونشير في الأخير إلى أن وجود تكامل بين المستوى الصوتي والمستوى الصرفي لا يعني غياب تكامل بين المستويات اللسانية الأخرى، إذ تتكامل المستويات اللسانية وتتفاعل، ومن ذلك تكامل المستوى التركيبي والمستوى الدلالي، فالدلالة امتداد طبيعي للتركيب، كما أن الجانب التركيبي في أي دراسة غير مستقل عن الجانب الدلالي، بل لا يوجد إطار تركيبي بدون مضمون دلالي، لأن التركيب متى افتقد الدلالة افتقد قيمته، وقيمة المفردات في وظائفها الدلالية.وكما أن الدلالة امتداد طبيعي للتركيب فإن التداولية أيضا تقتضي البعدين التركيبي والدلالي.

1- نظرا لارتباط اللغة باللسانيات ظهرت العديد من النماذج اللغوية والمناهج اللسانية التي تتناول إشكالية اللغة بصورة أعمق وأشمل بغية تحديد قضاياها ومستوياتها اللسانية ، وهذه المناهج كانت تهدف إلى بناء وصف لساني نسقي شامل للغة العربية كما استهدفت وصف ظواهر لغوية متعددة شملت المعجم والأصوات والصرف والتركيب والدلالة والتداول.، ويمكن تقسيم الدراسات اللسانية التي تناولت اللغة العربية إلى نمطين : أنماط صورية تعتبر أن اللغات الطبيعية أنساق مجردة يمكن دراسة بنيتها بمعزل عن وظيفتها في التواصل داخل المجتمع المستعمل لها وتعتبر اللسانيات التوليدية نموذجا لذلك للتفاصيل أنظر : اللسانيات واللغة العربية للدكتور الفاسي الفهري،البناء الموازي : نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة لنفس الكاتب..الخ،في مقابل ذلك هناك أنحاء وظيفية ترى أن بنية أي لغة طبيعية لا يمكن فصلها عن وظيفتها التواصلية كما هو الشأن مع اللسانيات الوظيفية للتفاصيل في هذا الإطار : أنظر قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، البنية التحتية أو التمثيل التداولي، دار الأمان، الرباط.للدكتور أحمد المتوكل.

2- الدكتور محمد عيد، أصول النحو العربي، ص: 266-267، عالم الكتب ñ القاهرة 1978

3- الموافقات، ج:4،-115 116

4- الخصائص، ج1، ص: 34

5- الخصائص، ج2، ص: 40

6- للتفاصيل ينظر : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص: 109

7- عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية ، ص: 10

8- أنظر على سبيل المثال الدكتور محمد الوادي مكانة الصواتة في الصرف العربي، مجلة مكناسة، العدد 6، كلية الاداب والعلوم الانسانية مكناس 1992، ص: 60

بِنَبْضِ القلب

الإنسان أولا

الحضارة في مفهومها التنموي الإنساني لا تقاس بالبنايات والشوارع ونمط العيش، وإنما تقاس بالكم المعرفي والتقدم العلمي الذي تنتجه الأمم، وهكذا نجد أن الكثير من الدول العربية التي راكمت الثروات المادية، وأنفقت الكثير من الأموال لبناء الجامعات على طراز رفيع لم تستطع أن تتبوأ مكانة علمية، لأن المنتوج الحضاري الحقيقي لم ينل نصيبه من الاهتمام بقدر ما تم الاهتمام بالبنايات ووسائل التدريس، حيث لم تساهم الجامعات العربية في إنتاج المعرفة الإنسانية بشكل يساهم في تطوير العلوم والتقنيات، والسبب في كل ذلك أن التنمية البشرية وصناعة التقدم الحقيقي لا تعني الثراء والفخفخة...

إن التنمية الحقيقية ترتكز على العدل الاجتماعي والحكامة الجيدة والحفاظ على الموروث الثقافي وتطويره بما يخدم المصلحة العامة للأوطان.. حين تعرضت اليابان لكارثة الزلزال المدمر الذي ضرب البنيات التحتية للبلاد وخلف خسائر فادحة في الأرواح والمعدات، كنت متيقنا أن قدرة اليابانيين على صناعة الحضارة كفيلة بامتصاص صدمة الكارثة ووضع قطار التنمية في مساره المعتاد، والسبب في ذلك أن اليابان فكرت في الإنسان قبل البنيان، وفكرت في العقل قبل الفعل... فمتى نلتفت إلى الإنسان ونعطيه العناية الكاملة من حيث العيش الكريم، والقدرة على الإبداع، وإطلاق لسانه وعنانه من عقال الكبت الثقافي والسياسي، يومها لن تخشى الدول العربية والإسلامية من نضوب الثروات، لأنها تملك ثروة العقل، ولن تخشى محدودية الموارد لأنها تملك موارد بشرية قادرة على مقايضة المعرفة والتكنولوجيا بكل موارد الأرض.

ذ. أحمد الأشهب

الإسلاميّون في السلطة في العالم العربي.. فكيف؟!

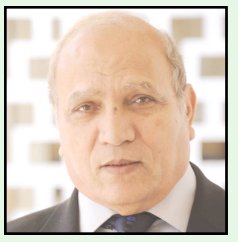

السفير د. عبد الله الأشعل

الظاهرة التي أتاحتها ثورات الربيع العربي في مصر وليبيا وتونس هي صعود الإسلاميين، ويقصد بهم الجماعات التي يسميها الغرب "الإسلام السياسي" أي الذين اعتمدوا الإسلام وسيلة لمعارضة النظم المستبدة، حيث بدأ الاستخدام بالعنف، وانتصرت هذه النظم لأن هذه النظم أفلتت رموزها من الاستهداف والاغتيال.

ولذلك فإن هذه الثورات التي ساهمت فيها الجماعات الإسلامية كجزء من معارضة الشعب كله للنظام المستبد الفاسد اقتلعت الحكام، كما اقتلعت الخوف منهم في نفوس الشعوب بعد أن أصبح الموت أيسر من الحياة، وأقبل الشباب على الانتحار بنسب عالية في مصر فاقت كل التصورات.

هكذا أوضحت الثورات العربية نجاعتها في اقتلاع هذه النظم بديلاً من طريقتين سابقتين، هما: العنف الذي صُنِّف على أنه إرهاب ضد السلطة وانتهاك للقانون الذي وضعته السلطة، والطريقة الثانية هي أن يقوم العمال باقتلاع أرباب الأعمال على الطريقة الماركسية، وقد ثبت عُقم الطريقتين لسبب بسيط، هو أن الاقتلاع الأيديولوجي سواء الماركسي أو الإسلامي بطريق العنف لا تشاطره الشعوب التي تريد طرقاً سلميّةً لاقتلاع النظم، من دون أن تتحوّل حياتها بعد ذلك إلى تضييق ديني أو سطوة شيوعية ثبت فشلها في نظم الحكم الشيوعية خلال الحرب الباردة.

وقد قاوم الغرب طويلاً وجود الإسلاميين في السلطة، وساهم في تشويه صورة الإسلام والمسلمين، وتتخذ ذلك ذريعة لكي يضيّق على الجاليات الإسلامية في الغرب، خاصةً بعد الطوفان ضد العالم الإسلامي وهو أحداث 11 أيلول الأمريكية التي انطلق بعدها الهجوم على الإسلام والمسلمين باعتبار أنهم ممثلون للإرهاب، وأن الإرهاب هو أخطر آفات العصر.

من ناحية أخرى استعان الغرب ببعض الحكومات العربية المتخصصة في فنون التعذيب لانتزاع الاعترافات المطلوبة في السجون السرية العربية، كما حدث في مصر والمغرب والأردن وغيرها.

وهكذا ظلَّ الإسلام والمسلمون في نظر الحكومات العربية شبحاً يهدد سلطانهم فنالوا أكبر قدرٍ من المطاردة، وكانت جماعة الإخوان المسلمين في مصر هي النموذج في هذا الباب، وكان الصراع بين النظم المستبدة والجماعات الإسلامية ينطوي في جزء منه على صراع سياسي على السلطة، وفي جزء آخر فإن هذا الصراع ينطوي على جانب ديني، وهو أن هذه الجماعات تنظر إلى الحاكم على أنه يظلم شعبه وأنه يستحق القتل، كما حدث عندما اغتيل الرئيس السادات بسبب إصراره على معاهدة السلام مع إسرائيل.

ولعلنا لحظنا أن مبارك في لحظاته الأخيرة في السلطة كان يردد أن البديل له هو الفوضى أو التيار الإسلامي، فكان هذا القول يدفع الغرب إلى التمسك به حتى لا يواجه البديل المرّ.

ولكن الثورة أجبرت الغرب على أنه يُدرِّب نفسه على أن يغير نفسه وألا يصرّ على منع التغيير في المعسكر الإسلامي، وفي الذاكرة الغربية أن الجيش التركي ظل لعدة سنوات حارساً للعلمانية ضد الغزو الإسلامي للدولة التركية، كما شجَّع الغرب الانقلاب العسكري على الإسلاميين في الجزائر منذ عشرين عاماً حتى لا يواجه بنظام حكم إسلامي ليس مستعداً له، كما أن الغرب الذي يتشدق بالديمقراطية لم يطق حركة حماس التي وصلت إلى السلطة بنفس طريق الديمقراطية الغربية، وهي الانتخابات.. فهل أصبح الغرب مستعداً لما تسفر عنه الانتخابات في مصر وتونس وليبيا وغيرها، مع وضوح غلبة التيار الإسلامي.. أم أن الغرب يُعدّ لنموذج جديد يؤدي إلى تطويع النموذج الإسلامي وفقاً للمعطيات الغربية، وأن يكون قبول هذا النموذج جزءاً من التحول الذي قبل به الغرب في التعامل مع العالم الإسلامي؟ وهل يكون الخضوع للمشروع الصهيوني جزءاً من هذا النموذج الإسلامي العربي المقترح؟ أم أن الغرب سوف يتخذ موقفاً منطقيّاً لا يحرج الإسلاميين وفي نفس الوقت تتقبله إسرائيل؟

المشكلة عند الغرب ليست في تطبيق الشريعة الإسلامية، وليست في طبيعة الحكم في الدول العربية، ولكن المشكلة هي موقف هذه النظم من إسرائيل, لأن النظم الإسلامية سوف تطالب بحقوق الشعب الفلسطيني وبالتصدي لإسرائيل ونزعاتها العدوانية والتوسعية، وتخشى إسرائيل أن تنادي هذه النظم بالجهاد من أجل فلسطين بالملايين، مما لا ينفع معه سلاح ذري أو غيره.

يبدو أن الغرب لن يفلح هذه المرة في فرض النظم التي يريدها على شعوب ثائرة، كما يجب على النظم الإسلامية أن تحترم هويتها وألا تصل مرونتها إلى حدّ الخروج من ذاتها، لأن الشعوب سوف تختار هذه القوى الإسلامية بناءً على فكرها المستنير وعلى ضمان استقلال بلادها وتحقيق العدالة فيها، وتلك هي المعضلة التي يواجهها الغرب.

ولعلنا نلاحظ أن التيارات الإسلامية السياسية ليست على درجة واحدة من الوعي السياسي، لأن البيئة الاجتماعية والسياسية في كل بلد تحدد مستوى هذا الوعي.

ففي مصر مثلاً، جماعة الإخوان المسلمين هي أقدم الجماعات الإسلامية التي انخرطت في تجارب سياسية ومواقف مع السلطة وضدها، انتهت إلى حالة المطاردة السياسية والاقتصادية للجماعة بالطريقة التي يعرفها الجميع في نهاية عهد مبارك، ولذلك فإن أدّى زوال نظام مبارك من السلطة أقنع الجماعة بأن يكون لها جناح سياسي، ومرّت فترة درست فيها علاقة الجماعة بهذا الجناح، وانتهت مؤخراً، إلا أن هذا الجناح هو جزء من الجسد يمارس السياسة من منطلق الدعوة، أو هو معمل اختبار للسياسة في ضوء الدعوة، وهذه أيضاً تجربة جديدة سوف تكشف الأيام عن مدى جدواها، كما أن الجماعة حاولت أن تظهر قدراً عالياً من المرونة في بيئة متحركة بسرعة فاستبدلت شعار "نحمل الخير لمصر" بشعار "الإسلام هو الحل"، وهو شعار تلتقي فيه مع كل التيارات السياسية.

أما حزب النهضة التونسي فإن حالة القهر الدائمة والتشتيت والمطاردة قد انتهت بزوال ابن علي، ولكن قرب تونس من الثقافة الغربية وجمعها بين التراثين العربي الإسلامي والفرنسي أدّى إلى الميل نحو الاعتزاز بالإسلام كهويةٍ، مع التمسك بالحرية كنمط حياة، لدرجة أن حزب النهضة وصف خطه بعد انتخابات المجلس التأسيسي للدستور، التي فاز فيها بما يقارب نصف الأصوات، بأنه أقرب إلى العلمانية، وهو مصطلح يحمل على مفهوم محدد للعلمانية ربما يقترب من مفهوم حزب العدالة والتنمية في تركيا.

وفي كل الأحوال، فإنه يمكن القول إن تقدم التيارات الإسلامية في الحياة السياسية العربية يحتاج إلى بعض الوقت للتعرف إلى صيغ الحكم التي تتصورها هذه التيارات لحكم بلاد إسلامية أطاحت فيها النظم المستبدة مقومات الحياة الإسلامية.

● الأمان ع 982

بارقة

اِتقوا الأسباب الصغيرة فقد تتحول إلى أسباب كبيرة وخطيرة

أ.د. عبد السلام الهراس

هذا ما وقع في تونس بسيدي أبو زيد فقد امتدت أمواجُه الطُوفانية إلى مصر وسوريا أما ليبيا فقد طواها طيّاً.

إن العالم العربي في أمسِّ الحاجة إلى أنظمة سليمة قائمة على العدل والتداول الديمقراطي للسلطة وإسناد المسؤوليات للأكفاء خبرةً وأخلاقاً وقد آن الأوان لعالمنا العربي أن يدْفن هذه المرحلة السوداء التي توُجت بالمؤامراة الصليبية الصهوينية على فلسطين وقد نُصبت أنظمة عسكرية التي تحولت مهمتها من حماية الأوطان إلى تخريبها وإذلالها وإلى نصب حكام غير مؤهلين لقيادة شعوبهم وإسناد المسؤولية لمن ليْسُوا أهلها وقد شاهدنا هذه الأنظمة وعشنا معاناة تلك الشعوب المسكينة التي انتُهكت حرمتُها وتحولت أنظمتها إلى أجهزة بوليسية وسيادات مخابراتية، تتحكم في المواطنين وتحصي أنفاسهم وتكاد تقرأُ تخَيُّلاتهم حتى فضحهم الله في مأساة 1967م.

عشنا في القاهرة من 54 إلى 1958م ومنذ دخلنا إلى أن تخرجنا ونحن تحت المراقبة المباشرة وغير المباشرة غير ناسين أفضال الشعب المصري من علماء وأساتذة وجيران وزملاء وغيرهم فهذا الشعب له علينا أفضال كثيرة لا تُنسى و قد استفدنا من علمائه في الجامعة وخارج الجامعة كثيراً كما أقمنا علاقات ود وإخاء وقمنا بنشاط كبير في القاهرة مع المصريين ووسط الطلبة الرائدين ويكفي مصر فخراً أنها آوتْ كثيراً من زعماء العالم الإسلامي وعلمائهم بل وطلابهم.

﴿إن خير من استأجرت القوي الامين﴾

في قلب الحدث

عبد الحميد الرازي

في الوقت الذي يهرول فيه الساعون إلى المناصب الدنيوية بكل السبل والوسائل المشروعة وغير المشروعة، وجب علينا أن نقول في إطار النصح الذي أمرنا به الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال: "الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم": إن عظم الأمانة التي يسعون إلى حملها سواء كانوا واعين بخطورة حملها أم كانوا لا يهتمون بذلك ولا يقيمون لهذه الأمانة وزنًا ، فتكون العاقبة خزيا وندامة.

ولقد كانت نصيحةُ النبي ﷺ لأبي ذر الغفاري رضي الله عنه حين طلب الولاية فقال له: «إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزيٌ وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها».

ولأن المتابع للحملات الانتخابية في العالم بأسره يلاحظ بجلاء غياب كثير من الضوابط المطلوبة في ديننا بصفتنا مسلمين عند كثير من المرشحين للبرلمان أو لمجلس المستشارين أو الجماعات المحلية أو عند الناخبين الذين يختارون من يمثل الأمة، وهذه من أعظم المصائب، لأنه بغيابها توسد الأمور لغير أهلها، و تضيع الأمانة، و «إذا ضُيعت الأمانة فانتظر الساعة». قالوا: كيف إضاعتها؟ قال ﷺ : «إذا وُسِّدَ الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» . «فلا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له».

إننا في أمس الحاجة إلى مراعاة ما أمرنا به الله تعالى ورسوله ﷺ عند الاختيار كما يجب علينا أن نولي أمورنا للأصلح والأجدر بحمل الأمانة، خاصة أننا نرى الحرص الشديد والمنافسة على الوصول للمنصب بكل الوسائل مشروعة كانت أوغير مشروعة، حيث ينفق المال بسخاء، وتنشط الدعايات لخداع الناخبين، واستجداء الأصوات، ومثل هذه الحملات الانتخابية لا يفوز بعدها أصلح القوم خصوصا مع غياب الوازع الديني، حيث ينسى المهرولون أنها أمانة، وأنها خزي وندامة في الدنيا والآخرة للذي أخذها بغير حقها.

فللمرشحين نقول ونحن في خضم معركة الانتخابات البرلمانية ما قاله النبي ﷺ لعبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه : «يا عبد الرحمن ، لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها».

فالدين أمانة، والقرآن أمانة، والتعليم أمانة، وإصلاح الإعلام أمانة. وهوية الأمة أمانة، وتطهير البلاد من الخمور والمخدرات أمانة، وفسح المجال للبنوك الإسلامية أمانة، وتحرير سبتة ومليلية أمانة، وإعطاء كل ذي حق حقه أمانة.....